

ديوان المعتمد الثاني للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخ الإمامين العظمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الثاني

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغدوبه النجم والشجرو ويرب الحب والثمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً . والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المستجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترب منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جذبه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَكُفٌّ طَبَقَ الْأَرْضَ تَحْرَى وَتَدُرُّ
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سَحَابٌ قِيسَتْ بِالْبِلَادِ فَأَلْقَيْتُ غِطَاءً عَلَى أَغْوَارِهَا وَنَجْوَدِهَا
هَدَتْهَا النَّعَامَى مُثَقَلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ تَهَادَى رُؤُوداً سِيرُهَا كَرُودِهَا
قوله سيرها كرودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها .
والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وَتَرَى الشَّجَرَ فِي رَيْقِهِ كَرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ فِيهَا الْخُرُ
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبَلَهٍ كَبِيرُ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 يقول كَأَنَّ أَبَانَا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
 دَانَ مَسْفٌ فَوَبَقَ الْأَرْضَ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَبُعْقَوْتِهِ وَالْمُسْتَكْنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر
 والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبغش ثم قطع فافرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبَهُ فِي عَارِضٍ كَضَى الصَّبْحِ لِمَاحٍ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمظهر ريك أي قليل .

وبل فستح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعاً تباعاً لا يريد انقشاعاً حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت الثون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف ، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملاً . والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لاغرابية :

فبيننا نرْمقُ أحشاءنا	أضاء لنا طارضٌ فاستناراً
فأقبل يزحف زحف الكسير	سياق الرعاء البطاء العشارا
تغنى وتضحك خافاته	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأننا تضىء لنا حرة	تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلما حسبنا بأن لا نجاء	وأن لا يكون فرار فرارا
أشارَ له أمرٌ فوقه	هلمَّ فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمت الريحُ ريحُ الجنوبِ	فهاجتُ هوىً غالباً وادّكرا
وساقتُ سحاباً كمثل الجبالِ	إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا
إذا الرعد جلعجل في جانيه	فروى النباتَ وأروى الصحارى
تظالنا الشمسُ من دونه	طلاعَ فتاةٍ تخافُ اشتهارا
تخاف الرقيبَ على سرِّها	وتحذرُ من زوجها أن يفارا
فتسترُ عُرتها بالخمار	طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه انهارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا
وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحب :

مستضحكٌ بلوامعٌ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
نقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
غَدَقَ يُنتِجُ بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٣)
وكانَ ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاياة كدراء
غرثٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حَفَلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمتُ فهنَّ إذا كظمنَ فواحمٌ وإذا ضيكنَ فانهنَّ وضاء^(٤)
لو كانَ من لججِ السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لججِ السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه في الودق . (٣) ينتج أي يولد ، وقرت الناقة أخذها الخاض فندت في الأرض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيفة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعهم ، والكلام فيه يتسع
وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الغفسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أتى تشيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسرفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بالوادي وجلهته^(٣) نهض الكسير بذى أو نين جرار^(٤)
حيران سكران يغشى كل رابية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرق لدمات الأرض منهمر^(٥) رعب أفسدة شعال أبصار
كان بلقاً عراباً تحت ريقه عوداً تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كان ريقه لما علا شيطبا^(٥) أقرب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوارمة عن الغيث فقالت :
غثنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوارمة يقول قاتلها الله مأفصحها . وترك ذوارمة هذا
المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي على البلى ولازال منهالاً بجراثك القطر

ف قيل له هذا بالداء عليها أشبه منه بالداء لها لأن القطر إذا دامت فيها
فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسد^(٧)ها صوب الربيع وديمة تهى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارحاء فاهرمع مطرها حتى
رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح ف ضرب السيل النجاف وملاً

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمحط .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجملة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمره بالحضارة فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيجرح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة ثقلها . قال أنا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سحاب ^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سرابها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت ^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً هواءً فثرت وأرزغت ^(٣) ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها ^(٤) متواصية ^(٥) لاخطيطة ^(٦) منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملأ الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم ألق عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطاعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلغفة بالغشاء والوحوش مقدوفة على الأرجاء فازالت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهوأسا كئناً ، ثرت تركته ثرية ^(٧) ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والرذغة الطين اذا أعطي القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الهطيططة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتعمشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقأت من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أى أعمدة . (٢) أى دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم تسل . (٤) أى أتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أى تراباً مبلولاً .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر انضب من وجارها فيخرجها من كثرة
سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها
فبقى الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صفار
وقطر كبار وكائن الصغار لحمة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة
المطر وتكاثفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر
والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نبطويه للعتابي :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق يخفيه طوراً ويديه لنا الأفق
كأنه غرة شهباء لائحة في وجه دهاء ما في جلدها بلق
أو نغر زنجية تفر ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبق
أوسلة البيض^(١) في جأواء مظلمة وقد تلقت ظباها البيض والدرق
والغيم كالثوب في الأفق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لا تقى فيه فان سالت عواليه قلت الثوب منفثق
ان ممعع الرعد فيه قلت ينخرق أولاً لا البرق فيه قلت يحترق
تستك من رعده أذن السميع كما تعشئ إذا نظرت من برقه الحدق
فالرعد صليق^(٢) والريح منخرق والبرق مؤتلق والماء منبعق
قد حال فوق الربى نور له أرج كأنه الوشي والديباج والسرق
من صفرة بينها حمراء قانية وأصفر فاقع أو أبيض يسق
فاستحسننت هذه الطريقة فقلت :

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق والماء من ناره يهيم فينبق
توقلت في أديم الأرض حرته كأنها غرة في الطرف أو بلق
ما امتد منها على أرجائه ذهب إلا تحدر من حافته ورق

(١) السيوف . (٢) الصهـ صليق من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمعت
فأرعد مرتجس^١ والبرق مختلس
والضال فيما طما من مائه غرق
والغيم خز^٢ وأنهاء^(١) اللوى زرد
والروض يزهو^٣ عشب^٤ أخضر^٥ نضر^٦
ومما ورد في المياه (٢) :

من سيول يمجها الواديات
ذو استواء إذا جرى والتواء
فهو حيث استدار وقف^١ لجين
وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدورية منزل^١
بؤساً لدهر غيرتك صروفه
لم يحل^٢ بالعينين بعدك منظر^٣
أى^٤ المعاهد منك أندب^٥ طيبة^٦
أم برد ظلك ذى الفصون وذى الحيا
وكانما سطعت مجامر^٧ عنبر^٨
وكانما حصباء^٩ أرضك جواهر^{١٠}
وكان^{١١} درماً مفرغاً من فضة
وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن^١ بنا تيسار^٢ بحر^٣ كأنه^٤
ترى مستقر^٥ الماء منه^٦ كأنه^٧
إذا ماجرت فيه السفين^٨ يعربد^٩
سبيب^{١٠} على الأرض الفضاء^{١١} ممدد^{١٢}

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا يياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
وقال ابن طباطبا العلوى في مدِّ الوادى :

ياحسن وادينا ومدَّ الماء
يختال في حلتته الكدراء
في صخب عال وفي ضوضاء
ترى به تنأطح الظباء
فانظر الى أعجب مرأى الراى
من كدر بنجابه عن صفاء
تقشع النسيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فطلت صفار السفن يرقصن وسطها
تفرقها هوج الرياح وتمتلى
فهن كدم الخيل جالت صفوها
كأن صفوف الطير عاذت بأرضها
أوالشبح المسود حلت عقوده
وقلت : مررت بنهر المسرقان عشية
كأنهم دُر تقطع سلكه
فكم ثم من خشف (٢) على الماء لاعب
كأن السميريات فيه عقارب
مصنعة بالمد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربى الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضياء أسود سمائها
على تربة محمرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتقرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فيا من رأى خشفاً على الماء يلعب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أغنقت منها الى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الا مَوَاجُ والامَواجُ بطّ
وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجرى على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
كما نفضت جَوْنَةَ الحوَاءِ

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت علبه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نحيبها حلق الدُّرُوع
ومن أوائل ما جاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :
فتوسطا عرض السماء فصدا مسجورة متجاوز قلامها
محفوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :
ونحن على جوانبها قعود نفض الطرف كالابل القباح
إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالدیه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والاثوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم النبت مكتمل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
قال المصنف خص العشي لأن كون الانسان بالعشي أحسن منه بالغداة لركة
تعلوه بالعشي وتهيج^(١) يمتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن
هذا قوله أيضاً * وصفراء العشية كالعرارة * وقال بعضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الرواد عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) تؤام
تعالى نبتة واعتم حتى كأن منابت العلجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب المكي :

ميشاء جاد عليها مسبل هطل فأمرعت لاحتيال فرط أعوام
إذا يجف ثراها بلها ديم من كوكب نازل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا فأومن الأرض مخفوف بأعلام
تسمع للطير في حافاتها زجلاً كأن أصواتها أصوات مخدام
كأن ريح خزامها وحنوتها^(٤) بالليل ريح يلنجوج وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلاهما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب
ابنة الحسن ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجاهلهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقال لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلاً يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً تعداً معداً متراكباً جعداً كأنخاذ نساء بنى سعد
تشبع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير
قد نشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديممة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتمل وتم
فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلاً وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدو اى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدو وتأك كل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولأعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلاً أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداه فاذا ضمته يديك اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلاً قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
أرعىٰ طيبَ أرضِ عودا الصِّلِّ والصَّفْصَلِّ واليعْضِيدا
والخازِياز السَّئِمَ الجُودَا بحيثُ يدعو طامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه طامر فهو يصيح
به ، الصل والصفصل وخازياز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالختارة
أما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الى يوم دجن والى نبات غص فاستحسن فقال ارتجالا :
أنتَ والله من الأيام لدن الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبت عيني في قرّة عين
وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
فدوّمَ من أعلى رباهُ ودّيما
ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً
فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
ومن بديعِ مقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبد الصمد بن المعدل
أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعمر
نما الروضُ منه في غداة مَريمة
تري لامعَ الانوارِ فيها كأنه
تسابقُ فيه الاقحوانُ وحنوةُ
يمجُّ ثراها فيه عَفراء جملة
أعاد نسيمُ الريح أنفاسَ نشره
بدا الشّيحُ والقيصومُ عند فروعه
وناضرُ رمان يرفُّ شكيره
ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنبه
إذا زرتَه يوماً تَغرد طائرُه
فاذهاج نوحُ الأيكِ في رونق الضحى
تجأوبنَ بالترجيع حتى كأننا
مرناة موموقٍ وترجيع شائق
وانى إلى صحنِ العذيبِ لتائقُ
مرعت ولازالت تصوبك ديمةُ
أحم الكلى واهى المرى مسبل الجدى
كان ابتسامَ البرقِ في حجراته
ومبدي أنيق بالعذيبِ ومَحضر
لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهر
إذا اعترضته العينُ وشى مُدّر
وسامها رندٌ نضير وعبهر
كأن نداها ماءُ وردٍ وعنبر
وخابل فيه أحمر اللون أصفر^(١)
وشتٌ وطباقٌ وبان وعَرعر
يكادُ إذا ماذرت الشمسُ يقطر
نجومٌ على أغصانه الخضر تزهر
وراناك ظبيٌ بين غصنين أحور
تذكر محزونٌ أوارتاح مقصر
ترنم في الأغصانِ صنج ومزهر
فلقلب ملهاتٍ وللعينِ منظر
وانى اليه بالمودّةِ أصور
يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
إذا طمعت فيه الصبا يتفجر
مهندةُ بيضٍ تشامُ وتشهر

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التام ولا يكاد يشذم منه شيء البتة وهو :

والروض مغسولٌ بلبيلٍ ممطر جلا لتأوجه الثرى عن منظر
كالعضب أو كالوشى أو كالجوهر من أبيضٍ وأحمرٍ وأصفر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر تخالهُ العين فمألمٌ يُغفر
وفاتقٍ كادَ ولم ينور كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر كأنه دراهمٌ في منثر
أو كمشور المصحف المنشر والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامةً تعقر إن لم تعقر يديرها كفٌ غزالٍ أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر ومثلٌ يكشفهُ عن جوهر
وكفيلٍ يشغل فضل المئزر تخبر عيناهُ بفسقٍ مضمر
يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عُشبٍ ونورٍ نظيم وأفرادٍ ظلٍ وقطرٍ نثير
فمن بين صُفرٍ وحمرٍ وخضر على القضب غيدٍ وزورٍ وصور
ولسٍ تناسبُ لسَ الشفاه ويبضٍ تعارضُ بيبض الثغور
نواظرٍ من بين يقضى ووسنى ونجلٍ ومُخزِرٍ ومُحولٍ ومُحور
وقد استوفى في هذه الآيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخى لنفسه :

أما ترى الروض قد وافاك مبتسماً ومدَّ نحو الندامى للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يقق وأصفر فاقع في أحمر مُنضدا
مثل الرقيب بدا للماشقين ضحى فاحمرٌ ذا خجلا وأصفرٌ ذا كدا
ومن المشهور قول الجاني :

ديمٌ كأنَّ رياضها يكسين أعلامَ المطارف

وكأنما عُدرأُنها فيها عُشورٌ في مضاحف
 وكأنما أنوارُها تَهْتَرُ^(١) بالريح القواصف
 طرر الوصائف يلتفت - بها إلى طرر الوصايف
 وروضة حالية الصدر كاسية البطون والظهور
 محمودة الخبور والمنظور موقنة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المحبور
 باكية كالعاشق المهجور شذرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر المحمور واقحوان كثغور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منشور على منشور
 يرصعُ الياقوت بالبلور

وقال السرى وأحسن : وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة
 والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجناتٌ يُحِبُّ الشربَ وهنا جَنَى وهداتها حتى ربها
 إذا ركد الهواءُ جرت نسجاً وإن طاح الغمامُ طفت مياها
 يُفَرِّجُ وشيها عن ماءٍ وردٍ يفيضُ على الآلى من حصاها^(٢)
 تعانقُ ربحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سُرَاها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحتري :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخلود
 فالرياحُ التي تَهَبُ نسيمٌ والنجومُ التي تَطْلُ سَمُود
 وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظري بمنظر فيه جِلاءٌ للبصر

(١) في نسخة « تَهْتَرُ » . (٢) في نسخة « صفاها » .

وأما لما مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بالآء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر ناضر يُيا كره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرفت وإلى دموع المزن كيف تذرّف
وعلى الربي حُللٌ وشأهنّ الحيا قسمهم ومقصبهم ومفوفهم
وملابس الأنواء فيها مُسندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نمّ الرياح على الرياض نماماً ذكر نك الكافور حين يدوف^(١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى اليفاع من الشقائق مطرف
والغيم تنقشه الرياح عشيّة كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلعب مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرواسمي^(٢) ثم خلفه ولي فالأرض كأنها وشتى منشور عليه لؤلؤ
مشور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاختربت البلاد وأهلك العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف الماء كول: وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحاء دُح
جون إذا هطلت في روضة طفيقت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان البمامي :

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشمر ذهباً
لازال يُبْتِغِئُنَا بِجِدَّتِهِ
وقال غيره في تلون الأرض :
فترى الرياضَ كأنهنَّ عرائسُ

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهرِ وهي تَمَرُّ مَرُّ
مطرٍ يروقُ الصحو منه وبمده
وندى إذا أدَّهنت به لمُ الثرى
ما كانت الأيامُ تسلبُ بهجةً
أولاً ترى الأشياءَ إذ هي غبرت
يا صاحبي تقصياً نظريكم
نرياً نهاراً مشمساً قد شابه
دنيا معاشٍ للورى حتى إذا
أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها
من كلِّ زاهرةٍ تَرَقَّرَقُ بالندى
تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها

الجميم متكاثف النبات، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها
فيغطيه الجميم :

صنعُ الذى لولا بدائعُ لطفه
وقلت في مديح :

إنى أرى لك فى الساحة والندى
طلَّق الغمامُ سرى بوجهٍ بأسر
ثقلت على عنق الصبا أعباؤه
طلقاً ذرَّيتَ به على الأطلاق
يُروى الوجهَ ومبسم براق
مثل الضعيف ينوء بالأوساق

ومن اللجين لسمجد ورق
وجديده بجديداً خلق
يُنقلن في صفراء من حمراء

وغدا الندى فى حليه يتكسرُ
صحوً يكادُ من النضارة يـمـطـرُ
خلت السحابُ أناهُ وهو معذرُ
لو أنَّ حُسنَ الروضِ كان يُعمرُ
تممجت وحسنُ الروضِ حينَ يغيرُ
تريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصورُ
زهرُ الربيعِ فكأنما هو مقعرُ
جلَّى الربيعُ فأنما هى منظرُ
نوراً تكادُ له القلوبُ تنورُ
فكأنما عينُ عليه تحدرُ
عذراءُ تبدو تارة وتخفرُ
بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحترى :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفا خلا
وقال أيضاً: ولا زال مخضر من الأرض يانع
يذكرنا رياء الأجابة كلها
شقائق يحمان الندى فكأنه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كان يد الفتح بن خاقان أقبات
وقلت: أمانرى عود الزمان نضرا
أنته الطاف السحاب تترى
تبسط في الصحراء بسطاً خضرا
ونرجساً مثل العيون زهرا
كأنها يصوغ فيها تبراً
كأنها ينثر فيها دراً
كلما لونا والعبير نشر
والعيش أن تسر أو تسرا
مستحسن وزمان يشبه البلدا
ويصبح الروض في صحرائها بددا
أو يانماً خضراً أو طائراً غردا
عليه بمحمر من النور حاسد
تنفس في جنح من الليل بارد
دموع التصابي في خدود الخرائد
على نكت مصفرة كالفرائد
دنانير تبر من توام وفارد
بكل جديد الماء عذب الموارد
شائب محتاز عليها وقاصد
تليها بتلك البارقات الرواعد
تري له طلاقة وبشرا
وساقت الجنوب غياً بكرا
وتمنح الروضة زهراً صفرا
وأقحوان كالثغور غراً
كأنها يدوف^(١) فيها عطرا
فأعمل الكاسات شمساً شقرا
ثم مر الزير يناغى الزمرا
لا تفسدن بالانغرام العمرا

أحسن ما قيل في النرجس دل أبي نواس :

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضُّ القطافِ كأنه^١ اذا مامنحناه^٢ العيونَ عيون^٣
مخالفةً في شكلهنَّ فصفرة^٤ مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون^٥
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي:

خبّلتُ محدودُ الوردِ من تفضيله^١ خجلاً تورّدها عليه شاهد^٢
لم يخبّل الورد المورود لونه^٣ إلا وناهله الفضيلة طائد^٤
للنرجس الفضل المبين^٥ وإن أبي آبٍ وحاد عن الطريقة حائد^٦
فصل القضية أن هذا قائد^٧ زهرَ الريحـم وإن هذا طارد^٨
شتانَ بين اثنين هذا مُوعِد^٩ يتسلّب الدنيا وهذا واعد^{١٠}
واذا احتفظت به فأمتع صاحب^{١١} بحياته لو أن حياً خالد^{١٢}
يحكي مصاييح السماء وتارة^{١٣} يحكي مصاييح الوجوه تراصد^{١٤}
بنهى النديم عن القبيح بلحظه^{١٥} وعلى المدامّة والسماع يُساعد^{١٦}
إن كنتَ تطلبُ في الملاح سمية^{١٧} يوماً فانك لاحالة واجد^{١٨}
هذى النجوم هي التي ربتهما^{١٩} بجيد السحاب كما يربى الوالد^{٢٠}
فانظر الى الأخوين من أدناهما^{٢١} شبيهاً بوالده فذاك المـاجد^{٢٢}
أين العيون من الخدود نفاسة^{٢٣} ورياسة لولا القياسُ الفاسد^{٢٤}
وقلت : ونرجس مثل أ كفٍ خرّـد^{٢٥} درن علينا بكؤوس الذهب^{٢٦}
ناولنيه مثله في حسنه^{٢٧} فحلّ من قلبي عقدَ الكُرب^{٢٨}
مبتسمٌ عنه وناظرٌ به^{٢٩} هذا لعمرى عجبٌ في عجب^{٣٠}
وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغواية حقها ونجري مع الذات جري السوابق^١
بمحمرة الاجساد مبيضة الذرى كمثل سقيط الطل فوق الشقائق^٢
لدى الصفر في أوساط بيض كأنها كؤوس عقرار في أ كف عواتق^٣
وقا ابن الرومي :

للنرجس الفضلُ يرغم من رغم
العينُ قبل السنِّ وهى المبتسم
ماطيبَ الريح وما أزكى النسم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظنى طرفها يشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرَرٍ وشراهم دُرَرٌ على ذهب
وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ علقت بالنباتِ والأشجار
وتدلت على الفصونِ فجاءت كشنوف الكواعبِ الالبكار
وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروسٍ تجلى وتشتهرُ
نامَ الندى فى عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يغمض والظلامُ حلَّ به كأنما فى جفونه قصر
تحيرَ الطلُّ فى مدامعه فليس يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصبِّ كادَ يسكبها فردّها فى جفونه الحذر
وقلت : وغنت الطيرُ بالحنانها فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمه فى الغصنِ قرصُ برْدٍ ضمَّ فمَ لقبلة من بُعد
وقلت فيه إذا تفتح :

مرَّ بنا بهتزُّ فى خطره ما بينَ أعصان وأقمار
يديرُ فى أنمله وردةً جاءت من المسك باخبار
يلوحُ فى حررتها صفرةٌ كالخلدِ منقوطةً بدينار

وقال ابن المعدل :

عُشِيَّةٌ حَيَانِي بوردٍ كَأَنَّهُ خُدودٌ أُضِيغَتْ بِمَعْضَنٍ إِلَى بَعْضٍ
وَقُلْتُ: قَوْمِي أَنْظِرِي وَرَدًا كَخَدِّكَ أَحْمَرًا تَرَكَ الرِّبْعَ وَرَاءَهُ وَتَقْدَمَا
قَدْ ضَمَهُ بَرْدٌ فَفَتَقَهُ نَدَى كَالصَّبِّ قَبْلَ فَاكٍ ثُمَّ تَبَسُّمًا
وَلَمْ أَجِدْ فِي تَشْبِيهِ الْوَرْدِ أَبْدَعَ مِمَّا ذَكَرْتَهُ ، وَتَشْبِيهِهِ بِالْخُدِّ تَشْبِيهِ مَصِيبٍ
وَلَسَكْنِي تَرَكَتِ الْإِكْثَارَ مِنْهُ لَشَهْرَتِهِ وَكَثْرَتِهِ وَيُقَالُ لِلْوَرْدَةِ الْحُمْرَاءِ الْحَوِجَّةِ وَاللَّبِيضَاءِ
الْوَتِيرَةِ وَيَشْبَهُ بِهَا قَرَحَةُ الْفَرَسِ ^(١) قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبُ:
يَبَارِي قُرْحَةً مِثْلَ الْوَتِيرَةِ لَمْ تَكُنْ مَعْدَى

وَقَدْ أَحْسَنَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فِي قَوْلِهِ يَصِفُ الْوَرْدَ :
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يَطِيفُ بِهَا زَمْرُدٌ وَسَطَهَا شَذْرٌ مِنَ الذَّهَبِ
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ أَزْدٍ شِيرُ : الْوَرْدُ يَأْقُوتُ أَحْمَرٌ وَأَصْفَرٌ وَدَرَّ أَيْضًا عَلَى كِرَاسِي زَبْرَجْدٍ
بِتَوْسِطِهِ شَذُورٌ ذَهَبٌ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَقَدْ نَبَهَ الْبَيْهَوِيُّ فِي غُلَسِ الدَّحِي أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ مُنَوَّمًا
يَفْتَحُهُ بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبِثُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مَكْتَمًا
وَقَالَتْ فِي تَفْضِيلِ الْوَرْدِ عَلَى التَّرْجَسِ :

أَفْضَلُ الْوَرْدِ عَلَى التَّرْجَسِ لَا أَجْعَلُ الْأَنْجَمَ كَالْأَثْمَسِ
لَيْسَ الَّذِي يَقْعُدُ فِي مَجْلَسٍ مِثْلَ الَّذِي يَمْتَثِلُ فِي الْمَجْلَسِ

وَقَالَ ابْنُ بَسَامٍ :

مِدَاهَنٌ مِنْ يَوَاقِيتٍ مُنْضَدَةٍ عَلَى الزَّمَرْدِ فِي أَوْسَاطِهَا الذَّهَبُ
كَأَنَّهُ حِينَ يَبْدُو مِنْ مَطَالَعِهِ صَبٌّ يُقْبَلُ صَبًّا وَهُوَ مَرْتَقِبٌ
وَمِنْ الْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ وَالْأَحْمَرِ وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ
الْأَحْمَرَ دُونَ الْأَزْرَقِ فَهُوَ مُعِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ . وَقُلْتُ فِي الْوَرْدِ عَلَى الشَّجَرِ :

(١) القرحة في وجه الفرس دون الفرة .

أصبحَ الورد في الغصون يحاكي مثل فرسان غارة يستلبيهم
لمع من دماء سحر ونحر ويلوح النهار أسفل منه
فهو كالرجل^(١) في عمام صفر بين نبذ من الشقائق يحكي
غلمة الدر في مطارف حر وقال ابن المعتز :

ولا زورديّة أوفت بزرقها بين الرياض على زرق البواقيت
كانها فوق طاقات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت
والصحيح أنه في الخرم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافه فحكّت دمعاً ينشف كحل يوم تشيت
قوله : كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة كأنها من حسنها تبرز في أبواب سعد ومنى
قد نثر الليل على أنوارها لآلىء الطل وأفراد الندى
بكت عليها مزنة فابتسمت عن لؤلؤ بين فرادى وثنى
وحولها بنفسج كأنه أواخر النيران في جزل الغضا^(٢)
وقال آخر :

وكان البنفسج الغض فيه أثر اللطم في خدود الغيد
وقلت : وبخافات البنفسج يحكي أثر القرص في خدود العذارى
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومفنج قال الكمال خلقة كن مجمعا للطيبات فكانه
زعم البنفسج أنه كمداره حسناً فسألوا من قفاه لسانه

(١) أى الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفــــــــــــــسج قبل تأنيب الحسود
فكأنا أوراقها آثارُ قرص في الحدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرقات على قضبانها الذلل
كانها دمةٌ قد مسّحت كُحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل
وأظن الأخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من
التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لا تحول فنظمته وقلت :

وشقائقُ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بين مكحل ومجسّد
كالخدّ يصبغهُ الحياءُ بحمرة وجرى عليه الدمعُ خلطاً الأمد
ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمام وقد شجا شجوا القيان فشقَّ فضلَ ردائه
وتحيرت ما بين إثمٍ دماقه في الخدّ دمعتهُ وبينَ حياته
فكانه الحبشيُّ بُضّعَ جسمهُ فثيابهُ مُحضلةٌ بدماقه
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى

معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

والشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدينارِ منقوطة
وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني رُوح دنانٍ صافيه
في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ طاربه

كأنما أنهارها بماءٍ وردٍ جاريه
 كأن آذريونها غبَّ سماءٍ هامية
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غالية
 وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوقَ أذنه
 وقلت : ولاح آذريونها
 وقال الشمشاطي ^(١) :

تراهُ عُيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهبٍ مُشرقاتٌ وسطهنَّ غالية
 أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضة عذراءٍ غيرُ عانسه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسه
 كأنها جاجمُ الشمامسه
 بعينٍ يقظى ويحيد ناعسه
 ترؤفك النُورَةُ منها الماكسه
 مثل الطاوويسِ غدت مطاوسه
 وخرمٌ في صبغه الطياله
 وقال ابن المعتز :

في روضةٍ كحلل العروسِ وخرمٌ كهامةِ الطاووسِ
 وقلت في المذهب الذى سلكه ابن الرومي :

خرمةٌ كهامةِ الطاووسه دارى من بهجتها مأنوسه
 والعين في فنائها محبوسه محفوفةٌ تحسبها محروسه
 نعيمى منظورة ملوسه مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطى اتصل بأل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لـكنها مغروسه في زهر^(١) كالشعل المقبوسه
كحلل ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خرم غص خلال شقائق يلوح كخيلائ على وردتي خد
وإذا كان في الخلد خيلان لم يستحسن الخلال الواحد وقلت :
على رياض خرم كأنها رؤوس هدايا حرير الحبل
وقال ابن طباطبا :

وطوس فيها خرم فكأنها صمامات وشي هيتت لخازن
وقلت في البهار والورد :

ورد إلى جنبه بهار كالخدد أصفى إليه قرط
وقد جمعت أصناف المنشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب
في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوان منشور يريك حسنها ألوان ياقوت زها في عقده
ياحسنها في كف من يشبهها فانظر إلى الند بكف نده
من أشهل كمينه وأبيض كثره وأحر كخده
وأصفر مثل صريع حبه إذا تغشاه غواشي صدّه
وقال السرى في الورد :

أما ترى الورد قد باح الربيع به من بعد مامر حول وهو اضرار
وكان في حلل خضر وقد خلعت إلا عرى أغفلت منها وأزارار
وقلت : ليس ينفك للغمام أياد تنكفا وأنعم تتجدد
فترى رعدده يشق حريراً وسنى برقه يطرز مطرد
وترى للزمان غصناً وريقاً يملك الطرف إذ يقوم ويأود

أنبت الأرضَ عسجداً ولجيناً فالروابي مكللٌ ومقلدٌ
 وجرى الريحُ سَجَسجاً^(١) ورخاءً فالمناهي^(٢) مسلسلٌ ومُسرَّدٌ
 وسبى العينَ لؤاؤٌ وعقيقٌ نظماً في زمردٍ وزرجد
 قترى ثمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثمَّ وجنةً تتورد
 قطرات الندى أحادٌ ومثنى مثل دُرٍ منظمٍ ومبدد
 وكأنَّ الشقيقَ كأسٌ عقيقٌ طرح المسك في قرارتها ند
 قترى النجد في رداءٍ موشى وترى الوهد في قميصٍ مُعمد
 وعليه من البهارِ عطاف ومن الورد والشقائق مجسد
 وترى النورَ مثلَ مضحكٍ خوَد وترى الغصنَ مثلَ شاربٍ أمرد

ومن بديع ما قيل في كمن النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :
 فكأنه في الماءِ صاحبُ مذهبٍ أغراهُ وسواسٌ بأن لا يطهر
 وقال السرى^(٣) :

ونيلوفرٍ أوراقُهُ الخضرُ تحتهُ بساطُهُ إليه الأعينُ النجلُ شُخصُ
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماءِ النير حسبهُ رؤوسَ إوزٍ في الحياضِ تغوصُ
 وقوله « النير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
 كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يدٍ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباحِ المشرق
 في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنمنمٍ من نبتها ومنق
 فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلى زهرٍ هناك مفرق

(١) في نسخة « سجداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهى إليه الماء .

(٣) هو السرى الرفاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،
 وكان يئنه وبين الخالدين معادة .

تجى بورِد كاللجينِ مكفرٍ منها وورد كالعقيقِ مخلق
وكذاك تتحف من منافع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةً أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتيق
فالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق
وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الربى عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الأثرى متهاملٌ
ترى قضبَ الياقوتِ تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائل
تلقحها الانداء ليلاً بريقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حوامل
وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقنٌ كالنورِ غبَّ السَّبلِ الساجم
طالعتُ فيه غرراً وضَّحا كمثلِ أيامِ أبى القاسم
والآس فى كفى أحبيهمُ مثلَ شوابيرِ بنى هاشم
وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارض حينَ تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارها
وكانت أكنَّت لكانونها خبيثاً فأعطته آزارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيقِ ندى ظلّ بفتض أبكارها
وتدنى الى بعضها بعضها كضمِّ الاجبة زوارها

كَأَنَّ تَفْتَحَهَا بِالضَحَى عَذَارَى تَحُلُّ أَرْزَارَهَا
تَقْضُ لَرَجْسَهَا أَعْيُنًا وَطُورًا تَحْدَقُ أَبْصَارَهَا
إِذَا مَزْنَةٌ سَكَبَتْ مَاءَهَا عَلَى بَقْعَةٍ أَشْعَلَتْ نَارَهَا
وَقَالَ فِيهَا: وَأَقْبَلَ يَنْظُمُ اتِّجَادَهَا بَفَيْضِ الْمِيَاهِ وَأَغْوَارَهَا
وَأَرْضَعَ جَنَاتَهَا دَرَّةً فَعَمَّسَ بِالنُّورِ أَشْجَارَهَا
وَدَارَ بِأَكْنَفِهَا دَوْرَةً تَنْسَى الْإِوَائِلَ بِرَجَارَهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْبَاقِي :

جَنَى يَوْمٍ لَمْ يُوْخَرْ لَعْدٍ وَلَمْ يَنْقُلْ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
كَالْعَقْدِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْقَدِ أَوْ كَالْفَصُوصِ فِي أَكْفٍ الْخُرْدِ
أَوْ كَكِبَارِ اللَّوْلُؤِ الْمُنْضَدِ فِي طَيِّ أَصْدَافٍ مِنَ الزَّبْرِجَدِ
مَفْرُوشَةٌ بِالْكَرْسَفِ الْمَلْبَدِ

وَقَلْتُ فِيهِ أَيْضًا :

أَبْدَى الرَّيْبُ لَنَا مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ شِبَاهَهُ اتَّفَقَتْ فِي الشَّكْلِ وَالصُّورِ
خَضِرٌ ظَوَاهِرُهَا بَيِضٌ بِطَائِنِهَا تَحْكِي الْقَبَاطِي تَحْتَ السَّنْدَسِ النَّضْرِ
بَيِضٌ شِبَاهُهُ فِي خَضَرٍ مَلْمَلَةٍ مِثْلَ الزَّبْرِجَدِ مِثْنِيًّا عَلَى دَرَرٍ
يَنْشَقُّ أَخْضَرُهَا عَنْ أَيْبُضٍ يَقْقِ كَالْتَفْرِيشِ تَحْتَ الشَّارِبِ الْخَضِرِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي وَرْدِ الْبَاقِي قَوْلُ الصَّنُوبَرِيِّ :

وَبَنَاتٍ بِأَقْلَى يُشَبِّهُ نَوْرُهَا بِلِقَ الْحَمَامِ مُشْتَبِلَةً أَذْنَابَهَا
وَقَلْتُ فِيهِ : وَيُزْهِى وَرْدُ بَاقِلَى كَأَطْوَاقِ الشَّعَانِينِ
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ :

فِي زَاهِرٍ عَبَقَ تَضْوَعُهُ فَكَأَنَّ عَطَارًا يَطْرَهُ
ضَاهِي مَسْكُهُ مَعْنَبُهُ وَحَكِي مُدَرَّهَمُهُ مَدْرَرُهُ

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْهَسَاتِينِ وَمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضى البصرة ليقيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدث صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الأعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقيهاها
فالتفت بالزهر والريحان أسفلها ومال بالنخل والرمان أعلاها
وصار يحسده فيها أصادقه ولائم لأم فيها من تمنائها
أبامعاوية اشكر فضلَ واهبها وكلما جثتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والنرجس :

لدى نرجس غص وسرو كأنه قدود جوار رحن في أزرق خضر
وقلت : لبس المساء والهواء صفاءً واكتسى الروض بهجة وبهاءً
فكان النهاء صرن رياضاً وكانَّ الرياض عدن نهاءً
وكانَّ الهواء صارَ رحيقاً وكانَّ الرحيق صارَ هواءً
وتخالَّ السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماءً
جللتها الانواء زهراً وصفراً يومَ ظلت تنادُم الانواء
قترها ما بين نوءٍ ونورٍ تكفا تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجار تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت مُخلدات ^(١) واكتست حينَ أورقت سِراء ^(٢)
وترى السرو كالنابر تزهي وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتيني على القصف والفتك

بفرس كأبيكار الجوارى وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظفر في شيطان مريد
فلهذا أنت فيه مبدى ثم مبيد
قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه حدود وقدود ونهود
وقد أحسن التلوخي في وصف النارج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب
وقلت: تطالعا بين الفصون كأنها
خود عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق بريا حبيب
فهاجت له الأحران من حيث لا يدري
وقال : إذا لاح في أغصانه فكأنه
شموس عقيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه قد كنز الفضة في تهره
يشاكل العاشق في لونه ويشبه المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يدها محبه ففاحة تعطى المحب أمانه من صدّه
وهذا البيت متكلف جداً :

فعلت حين لثمتها من كفه أنى سألتم أختها من خده
وقال أيضاً في الترجة وأحسن :

جاء فحيانى بأترجة من ذهب قد حشيت فضه
أتى بها ناعمة غضة من كفه الناعمة الغضة
ببذل للقلبة حسناً ولا تصلح أن تبذل للعضه
أحب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأترج والتارنج :

تري التارنج في ورقٍ نضيرٍ فتحسبه عقيقاً في زبرجد
وأترج على الأغصان يزهي كما رفع الفتى قنديل عسجد
وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا تحية رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهب قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشربها على كراة عاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحرق ليوناً بأترجة كأنجم تحرق بالبدر
مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر
قد شدت من هاماتها زرُّها يا عجباً من ذلك الزرُّ
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر أطرافهم
عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأفئك على
نبلها وأكشف لك عن سر أثرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة
فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمرة
الخرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
 الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
 تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برأيتها ريثما
 أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
 صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
 لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغشيان
 النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانيء : ماعلل المريض المبتلى
 وسكنت حرارة الشكى وردعت شهوة الحبل ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
 الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
 وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
 التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :
 حمرة التفاح في خضرته أقرب الأشياء من قوس قزح
 والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة . وقال الشاعر * الخمر والتفاح شكلان *
 وقال آخر : تفاحة حمراء منقوشة ركبتهافي غصن الآس
 ألبستهها ورداء وكللتها إكليل نسرین علی الراس
 وقال آخر في التفاحه :

كأنما حمرةها حمرة خد خجل

وقال ابن أبي أمية :

مازلت أرجوك وأخشي الردى معتصماً بالله والصبر
 حتى أنتنى منك تفاحة زحزحت الأحران عن صدرى
 حشوتها مسكاً ونقشتها ونقش كفيك من السحر
 واهأ لها تفاحة أهديت لو لم تكن من مخدع الدهر

فاذا وصلت اليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساه وعقل لاذ وذهن غبي وشرافية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه
ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهدها ولا يتحدثها
بيدك ولا تلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نصرتها
فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره .
وقلت في الريحان :

ثم انثنينا الى خُضِرٍ مُنْعِمَةٍ كَأَنَّ أوراقها آذانُ مُجْرَدَانِ
وقهوة كجنيِّ الوردِ وشحه من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطان
وقال السرى في دستنبوية :

وأغنَّ كالرُشَا الغريبِ — رنشا خلالَ الربرب
في آخذَه وردٌ حمأ هُ من القُطافِ بعقرب
حيَا بدستنبوية مثل السنان المذهب
وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنت لعيني ناظرٍ إلا توهمها سناناً مُذهبا
وقلت : وأترج يحفُّ بها أقاح كبدلِ الليلِ تكنفه النجوم
وقال السرى في نارنجية :

أهدت على نأى المحلِّ وقد أنأى التصبرِ طُولُ هجرتها
نارنجيةً منها استعيرَ لها ما ألبست من حُسنِ بهجتها
وشعاعها من نورِ وجنتها ووسيمها من عطرِ نكهتها
وكانَ ما يخفيه باطنها ما أضمرت من سوءِ غدرتها

وحكى اخضراراً شابَ وجنتها قرصَ الاكفِ اديمَ وجنتها
فأنتك مُكملةٌ محاسنها تختالُ في أنوابِ زينتها
فشعارُها صفوُ اللجين ومن ذهب مصوغٌ ثوبٌ بذلتها
تُهدى إلى الأرواح من بُعدٍ تحفَ السرورِ لطيبِ نشوتها
ويصونها مسرَى روائحها من أن تباشرها بشمتها
فاشربْ عليها من شقيقتها في نعتِ رايها وصبتها
واعطفْ عنانَ النفسِ عن فكرٍ راحت معذبةً بفكرتها (١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الاثرج :

ريحانةٌ في اصفرارٍ مهديها شبهتها بعدَ فكرةٍ فيها
أحبةٌ لم تُصيخْ لعاذها تسدُّ آذانها بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة في غصن آس
فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةٍ أخضر كما انقضَّ نجمٌ في الدجنةِ ثاقب
له شعبٌ تهوى (٢) على سرّواته كمثل بنان الكفِّ يلويه حاسب
فناولنيهِ ذو دلالٍ كأنما له الشمسُ أمٌ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مُشهوراً له الحسنُ خدنٌ والملاحةُ صاحب
وقال بعضهم في الاثرج :

لها ورقٌ ريجها ريجهُ وما ذاك في غيرهٍ لو طلب
كأن تعطف أوراقها أكفٌ تشيرُ إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت الأشجارُ يوماً لجفوة فإن لها عزَّ القناعة والصبر
تصرفُ في اللذات من كلِّ طعم تصرفَ زيدٌ آخذاً بقفا عمرو

وقلت في التفاح :

ليس ریحُ التفاح عندی بريحٍ لاولكنه صدیقٌ لروحي
مُحرمةُ الخدِّ واخضرارُ عذارٍ فلبیحٌ بطوفٌ حوْلَ ملبیح
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني فتی رآها كخدٍّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيب تأكله فقلت لابل أمصُّ من ريقه

وقال السري :

لو مُجِّدتُ راحنا اغتدت ذهباً أوزابَ تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكي الرمانُ أوَّلَ ماتبدى حقائق زبرجدٍ يُحشِّنُ دُرّاً
فجاءَ الصیفُ بِحشوهٍ عقیقاً ويكسوهُ مرورُ القیظِ تبراً
ويحكى في الغصونِ ندىَّ حورٍ شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية تملكُ لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرة الوجنةِ محمرة كأنها حاشقةٌ ساليه

وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ كأنه مخازنُ البللورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ وفي الاعالی ماءُ وردٍ مجورى
لم يُبقَ منها وهجُ الحرورِ إلا ضياءٌ في ظروف نور
له مذاقُ العسل المشورِ وبردُ مسِّ الخصرِ المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ لو أنه يبقى مع الدهور
قرَّط آذانَ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازقٍ مَخْطَفٍ خُصُورُهُ قَدْ أُنِيعَتْ أَنْصَافُهُ الْأَسَافِلُ
كَأَنَّهَا مَخَازِنٌ مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَاءٍ وَرَدٍ فِيهِ مَسْكٌ ثَافِلٌ
لَا يُزِيدُ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ أَحَدٌ .. ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما أخضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
المؤمنين راجلاً لحت فلحنت ونحوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

بَاكَرْنَا الدَّهْرُ بِسِرِّائِهِ وَكَفَّ عَنَا بِأَسَاسَائِهِ
وَجَاءَنَا أَيْلُولٌ مُسْتَبْشِرٌ يَثْنِي عَلَى الدَّهْرِ بِآلَائِهِ
أَمَّا تَرَى الرِّقَةَ فِي جَوِّهِ تَنَاسَبُ الرِّقَةُ فِي مَائِهِ
أَنْظُرْ إِلَى أَنْوَاعِ أَثْمَارِهِ قَدْ ضَمَّهَا فِي بُرْدِ أَحْسَائِهِ
رَاحَتْ عَلَيْهَا نِسْمَاتُ الصَّبَا تَقْرَصُهَا فِي بُرْدِ أَفْبَائِهِ
أَمَّا تَرَى حَسْنَ مَلَاحِيهِ يُهْدِي إِلَى بَهْجَةِ شِعْرَائِهِ
أَنْظُرْ إِلَى رُمَانِهِ ضَاحِكَا حِمْرَاؤُهُ فِي وَجْهِ بِيضَائِهِ

وقال ابن المعتز في العنب :

ظَلَّتْ عَنَاقِيدُهَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَرْقٍ كَمَا خَتَبِي الزَّنْجُ فِي خَضَرٍ مِنَ الْأَزْرِ
وَيُرْوَى لِابْنِ الْمُعْتَزِ فِي التَّفَاحِ :
وَتَفَاحَةٌ صَفْرَاءَ حِمْرَاءَ غَضَّةٍ كَخَدِّ مُحِبٍّ فَوْقَ خَدِّ حَبِيبٍ
أَحْبَابُهَا طَوْرًا وَأَشْرَبُ مِثْلِهَا مِنْ الرَّاحِ فِي كَفِي أَغْنِ رَيْبٍ
وَقُلْتُ فِي النَّارَنْجِ :

رَوْضٌ زَهَاهُ الْمَزْنُ فِي كِرَاتِهِ بِمَكْفَرٍ^(١) وَمُزْعَفَرٍ وَمُضَرَّجٍ
فَتَبَسَّمَ النَّارَنْجُ فِي شَجَرَاتِهِ مِثْلَ الْعَقِيقِ يُلَوِّحُ فِي الْفَيَروُزِ

والسكّاس يحملها أغنُ يزينةُ وجناتُ وردٍ في عذارٍ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعى للنمر بن تولب :

ضربن العرقَ في ينبوعِ عينِ طلبنَ معينه حتى ارتوينا ^(١)
بنات الدهر لا يخشين محلاً إذا لم تبق سائمةً بقينا
كاننَّ فروعهنَّ بكل ريح عذارى بالذوائب ينتصينا ^(٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طارَ قشرُ التمر عنها بطائر
من الواردات الماء بالقاع تستقى بأعجازها قبل استقاء الحناجر
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهن وردن الماء يعنى الماء الذى فى
بطن الأرض معينا . وقال النمر « طلبن معينه » فجعل الماء الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمعين إمّا هو الماء الجارى على وجه الأرض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف ^(٣) :
ونخيل فى تلاع جمّة تخرج الطلع كأمثال الكف
وقال الريح بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرس من النخل مترع بوادى القرى فيه العيون الرواجم
لها سمف جعدٌ وليف كانه حواشى برود حاكهن الصوانع
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

(١) فى نسخة « حتى روينّا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت
الاحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعتل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة	الجنانِ	رست بشاطى ترع	ريان
تتأثر بالاعجاز	للاذقانِ	لا ترهبُ المحلّ	من الازمان
ولا توقى	ختل الذؤبان	ولا ترى ناشدة	الرعيان
ولا تخافُ عرّة	الاوطانِ	سحم الرؤوس	كمت الابدان
لها يوم البارح	الحنانِ	مثل تناصى	الخرّد الحسان
إذ هي أبدت زينة	الرّهبانِ	لاحت بكافور	على إهان
يطلع منها	كيد الانسان	إذا بدت ملهومة	البنان
علت بورس	أوبزعفران	حتى إذا شبه	بالآذان
من حمر الوحش	لذى عيانِ	وهذا لفظ زائد على معناه :	
شققه	علجانِ	ماهرانِ	من لؤلؤ صيغ على قضبان
مصوغة من ذهب	خلصان	ثم ترى للسبع	والثمان
قد حال مثل الشدر	في الجان	يضحك عن مشبه	الاقران
كأنه في باطن	الأفنان	زمرّد لاح	على التيجان
حتى إذا تمّ له	شهران	وانسدلت	عناكل القنوان
كأنها قضب من	المقيان	فصلن بالياقوت	والمرجان
من قاني أحمر	أرجوان	وفاقع	أصفر كالنيران

مثل الأكليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :
 ونخيل وقفن في معطف الرمـل وقوف الحبشان في التيجان
 شربت بالأنجاز حتى تروّت وترات بزينة الرحان
 طلع الطلع في الجماجم منها كأ كفّ خرجن من أردان
 فتراها كأنها كمت الخيل توافت مُصرة الآذان
 أهو الطلع أم سلاسل عاج مُحلت في سفائن العقيان
 ثم عادت شبائها تنباهي بأعلى شبائه أقران
 خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
 ثم حال النجار واختلف الشكـل فلاحـت بجوهر ألوان
 بين صفر فواقع تنباهي في شماريخها ومحر قواني
 وقال بعض العرب * طلعا كأذان الكلاب البيض *
 وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق يانعات بخالص الثبر مُنوعات
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
 قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صمصمة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
 عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صمصمة : أجل أجوده
 ماذق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
 يدججه وليكنك يا ابن العاص لا تمرأ تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(١)
 فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
 ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أى التمر أجود ؟
 قال : الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فك فتجد

(١) أى تغذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصبحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر^١ كأن بنات الورد فيه جواهر
كأن القمارى والبلابل بينها قيان^٢ وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة كأن على أحداقها الدرُّ دائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل^١ بالما (١) وعيش تضيق^٢ عنه النعوت^٣
وردد^٤ الدر^٥ فيه فى شجر اللو ز^٦ وفي الخوخ ورد^٧ الياقوت
وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً يالها من حدائق^٨ وجنان
خطرت بينها الرياح^٩ سحيراً فتناصت^{١٠} (٢) تناصى^{١١} الأقران
وتناجى الغصون فيها سراراً وتنادى الطيور^{١٢} بالاعلان
فتناجى الغصون شبه عتاب^{١٣} وتنادى الطيور^{١٤} مثل أغاني
من كروم^{١٥} تمايلت بمعناقيـد^{١٦} كجمـد^{١٧} الزنوج^{١٨} والحبشان
وملاحية^{١٩} تميل^{٢٠} أخرى كوجوه^{٢١} الخرائد^{٢٢} الغرآن
كلا لى^{٢٣} تشبثت^{٢٤} بلال^{٢٥} وبنان^{٢٦} تشبكت^{٢٧} بينان
فهى^{٢٨} كالنجم فى فروع^{٢٩} كروم^{٣٠} وهى^{٣١} كالشمس فى بطون^{٣٢} الدنان
وقلت فى البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن^١ لوقت^٢ إكثار^٣ وقله
وإحداهن^٤ تبرز^٥ فى عباء^٦ وأخراهن^٧ فى حبر^٨ وحله^٩
ومنها ما تشبهه^{١٠} بدورا^{١١} فان^{١٢} قطعتها رجعت أهله^{١٣}

وقلت : ولون^١ واحد^٢ يلقى فيأتينا^٣ بألوان^٤
بسمران^٥ وسودان^٦ ومُحمران^٧ وصُفران^٨
كوشى^٩ فى يدى^{١٠} واش^{١١} وشهد^{١٢} فى يدى^{١٣} جاني^{١٤}

(١) الماء : اسم لناحية . (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى .

فمن أدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذائِ طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العوائق تُنَاطُ في حُجَرٍ من المعالق
كأنها أناملُ الفَرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللُفَّاح :
انظر الى اللُفَّاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفَضَّضاً في مُذَهَب
يملو مفارقة قلانس أخفيت من تحتن دِراهم لم تضرب
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات بيض نحورها وخضر نواصيها وضفر جُسمها
لها حقبٌ لا تستطيع أطراحها وليس يطيق سلبها من يرومها
وهن رِمَاحٌ لا تريق دَمَ العدى ولكن يراق في القدود صميمها
يميل على أعرافها عذباتها كحور تناصى هندها ورميمها^(١)
تتاهى بها الإدراك حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
تري الريح يُغريها بنجوى خفية إذا ما جرى قصر العشى نسيما
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عَيْنًا ناظرَ مَنظَرًا أحسن من أفنانِ طلح مَروح^(٢)
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورة للفتوح
وسِدرَةٌ مدت بأفنانها على سواقٍ كَتونِ الصفيح
إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيـر اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهنة . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أنا نى نخبانى بنبق كأنه حلى عروس زان لبتاً وأخذعا
 بأحر كالياقوت يقطر ماؤه وأصفر كالعقيان ضمهما معا
 وقال آخر :

أقبل تحت الليل كالظبي العرق بالراح والريحان والمسك عبق
 فجاء بالوصل وحيًا بالنبق وقلت نبق هكذا وتنفق
 ما خضر عوداً أبداً لا تفرق

وقلت في النبق :

جلى الربيع	علينا	كواعباً	أبكارا
مُتَوَّجات	عقيقاً	مسورات	نهارا
ترى لمن	من الور	د شوذراً	وخمارا
أهدى لنا	جواهرات	تخير	الابصارا
يا حسن	حمر وُصْفَر	تريك	جمرًا ونارا
قد راق	ذاك احمراراً	وراع	ذاك اصفراراً
وخلت	هذا عقيقاً	وخلت	ذاك نُضاراً
وذاك	شهداً مشاراً	وذاك	راحاً عُقاراً
لو كان	يبقى سليماً	نظمته	تقصاراً (١)

وقلت في الشمس ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبح وردى المذب بنادقاً مخروطةً من الذهب
 قد ضمنت أمثالها من الخشب والتف منها خشبٌ على غرب
 وصار منه السم حشواً للضرب فهى لعمري عجبٌ من العجب
 الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتين جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباح بعضه وبعضه يحكى الغسق
كسفر مضمومة قد جُمعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفستق :

من الفُستق الشاميَّ كلُّ مصونةٍ
زبرجدة ملفوفة في حريرةٍ
تصانُ من الأحداثِ في بطنِ تابوت
مضْمَنَةٌ دُرّاً مُغشى ياقوت
وقلت في خيارة :

زبرجدةٍ فيها قراضةٌ فضّة
تلم بناطورين في كلِّ حَجّة
فان رجعتُ تَبَرّاً فقد خَسَّ أمرُها
فيكثر فينا خَيْرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ لَيْسَ يَفْقَدُ نفعها
وعند الخريفِ لَيْسَ يُؤْمِنُ ضرُّها

وأما ذمُّ البساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

لله ما ضيعته من الشجر
وَمُعْجَبَاتٍ من بقولٍ وزهر
أطفال غرسٍ تُرتجى وتُنْتَظَرُ
مصفرة قد هربت لامن كبر
حالقة لنبتها حلق الشمر
كلُّ امرئٍ غيّر من هذا البشر
ضميرها النارُ وإن لم تستمر
بستانه أنثى وبستاني ذكر

ومما يجري مع هذا قول الاعرابي :

مُطِرْنَا فلما أن رويْنَا تهادرت
ورامت رجالٌ من رجال ظُلامَةٍ
شقاشق فيها رائبٌ وحليب
وعدتْ ذُحُولٌ بيننا وذُنُوبُ
أنصت ركابٌ للصبا فتروّحت
بنى عنما لا تعجلوا نضب^(١) الثرى
وحنّت ركابٌ الحى حين تَوُوب
ولو قد تولى الضبُّ وامترت القرى

وصارَ فَبُوقَ الْخَوْدِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ذُو جِدَتَيْنِ مَشُوبٌ
وصارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُرَانَةٌ يَسَادَى إِلَى هَادَى الرَّحَا فَيَجِيبُ
أُولَئِكَ أَيَّامُهُ تُبَسِّينُ لِلْفَسْتَى أَكَابَ سَلِيلُ أَوَّاشٍ نَجِيبُ

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

فى ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْرِ كَذِيلِ الْغَلَالَةِ الْمَبْلُولِ
وَوُجُوهُ الْبِلَادِ تَنْتَظِرُ الْغَيْثَ اتِّظَارَ الْمَحَبِّ رَدَّ الرَّسُولِ

وقال ابن الرومى :

حَيْثُكَ عَنَا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا
هَبَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْفُصْنَ صَاحِبَهُ
وَرَقٌّ تَغْنَى عَلَى خُضْرِ مُهْدَلَةٍ
تَحَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرَبِ
بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانَا
سِرًّا بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
تَسْمُو بِهَا وَتَشُمُّ الْأَرْضُ أَحْيَانَا
وَالْفُصْنُ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رِياضًا قَدْ تَبَقَّظَ نَوْرُهَا
كَأَنَّ عِبَابَ الْمَسْكِ بَيْنَ بَقَاعِهَا
وَقُلْتُ : وَالصَّبَا يُجْلِبُ الْغَمَامَ إِلَيْنَا
وَتَرَى لِلْفُصُوفِ فِيهَا نَجِيًّا
وَبَلَلَهَا دَمْعٌ مِنَ الْمُزْنِ ذَارِفٌ
يَفْتَحُهَا أَيْدَى الرِّيحِ الضَّعَائِفِ
فَتَرَى الْقَطَرَ لِلرِّيَاضِ نَدِيمَا
وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيمَا

وقال ابن الرومى :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرَجَ الْخُزَامَى
وَلَاهَا بَعْدَ وَسْمِيٍّ وَلِيٌّ (١)

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هديةٌ شمائلُ هبتَ بلبيلٍ
إذا أنفاسُها نسمتُ سحيراً
لا تُفنانُ الغُصونَ بها نجى
تنفسَ كالشجى لها الخلى

وقال ابن المعتز:

وماريجُ قاعٍ عازبٍ طله الندى
فجاءت سحيراً بينَ يومٍ وليلةٍ
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:
ومهمه كرداء الوشى مُشْتَبِه
والريح تجذبُ أطرافَ الرداءِ كما
وقلت:

وأقبلَ نشرُ الروضِ في نفس الصبا
ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا
المسكتنى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريحُ تُحركُ البابَ حركةً كأنها دق بيد، قال فقلتُ له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقني صباً فحركتِ البابا
فكأنني سمعتُ حسَّ حبيب
قال ما كنت أظنُّ أنه قيل في هذا شيء، وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.
وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكهُ أيلولٍ إذا اجتمعت
إذا لما حفلت نفسي متى اشتملت
يا حبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردت
وجش القرُ فيه الجلدُ وأتلفت
من كلِّ نوعٍ ورقُ الجوِّ والماءُ
عليه هائلةُ الحالين غبراء
فيه مضاجعُنا والريحُ سجواءُ
من الضجيعين أحشاءُ وأحشاءُ

وأسفر القمر السارى فصَفَحَتْهُ رِيَالَهَا من صفاء الجو لآلاء
 يا حبذا نفحة من ريحه سحرًا يَأْتِيكَ فِيهَا من الریحَانِ أنباءُ
 قل فيه مَاشَتْ من شهرٍ تَعَهَّدُهُ في كلِّ يومٍ يدُ اللَّهِ بيضاءُ
 وقلت : وله مَجْنَحُ الْأَصِيلِ نَسِيمُ لَيْلٍ العَطْفِ هِينُ الْخَطَرِ ان
 أَرْجُ يَقْتَدِي بِهِ نَفْسُ الْمَسْكِ وَتَحْكِيهِ نَكْهَةُ الزَّعْفَرَانِ
 كم غدا مُدْنَفًا وراحَ حَسِيرًا يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرُفَانِ
 فرأينا لَهُ لبوسَ شَجَاعٍ ووجدنا بها ارتعاشَ جَبَانِ
 وإلى هذا انتهى بنا القولُ في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم
 نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير ^(١) والأعيان منه أولى وبالله التوفيق .
 انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذَّاكِرُونَ وغفل عن ذكره الغافلون
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزহقه
 وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة
 وجعل خلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادع
 إغذاراً وتحذيراً وحجةً وتنبيهاً فمن لم يُقْنِعْهُ ما سيق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه
 حُكْمُ فِيهِ السِّيفُ وَسُلْطُ عَلَيْهِ السُّوْطُ لِيُرْدَّاهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ يَجْعَلَهُ نَكَالًا
 لِلْخَلْقِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والظعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول :

كَأَنَّ الْأَفْقَ مُحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تُزِيرُ
وقريب منه قول محدث (١) :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِجَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَرٌّ وَقُوفٌ عَلَى جَرِّهِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجْلَى وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْبَةِ بِالصَّبْرِ
ومن بليغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخيل :

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارِسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ نَجْدَةِ رَوْقِ
وقول المفضل الكندي :

فَدَاءُ خَالَتِي ابْنِي حَيٍّ خُصُوصًا يَوْمَ كَسَّ الْقَوْمُ رَوْقُ
معناه ان الأكس وهو القصير الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة
الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَهُ
في قوله * فخيّل من شدة التعيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن
الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه
قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوَلِهِ قَطَعْتُ بِخَيْلٍ حَشَوُ فَرَسَانِهَا الصَّبْرُ

(١) هذا البيت لتهشل بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب
صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بمجاهل - كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزٌ وأطرافها مُحرُّ
أجود ما قيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور اقعى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى وانتى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيل من خلل الغبار خوارجٌ كالتمر ينثر من جراب الجرم^(١)
وقال آخر :

ورُبَّتْ غارةٌ أوضعتُ فيها كسحَّ الخرجى جريم تمر
وقد أحسن الاعرابي في قوله :

نُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيثاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجٌ
بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادِ يلمعُ البيضُ بينهم ويبيضُ أعادِ في أكفهم السمرُ
وخيلٌ يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها ونصلٍ إذا ما شمتهُ نزلَ النصرُ
وقومٌ متى ما ألقهم روى القنا وأرضٍ متى ما أغزها سُبُعَ النسرِ
ومن أبلغ ما قيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدي لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدي بالسيف مخراق لالعاب *

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك

منابرهنَّ بطنونُ الا كفَّ وأغادُهنَّ رؤوسُ الملوك

(١) جمع جارم الذي ينجى التمر. (٢) المخراق خرقه يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانَّ أسيافنا بيضٌ مُهندَةٌ عتقٌ وآثارها في هامكم جُدُ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلأوهامُ بني بكر لها غمدُ
وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا احمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجاجمَ للسيوفِ مقيلا
وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجاجمَ أغمادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شقَّ الصفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأَحَنِّ
دامي الجراح كأنه وردُّ تفتح في فننِّ

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا الله والمهرُ المفدَّى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً نائراً لها نَفَذٌ لولا الشَّعاعُ أضواءها
ملكْتُ بها كفى فأنهتُ فتقها يرى قائمٌ من دونها ماوراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديمٍ أثره بادى
تظلُّ تحفِرُ عنه أن ضربت به بُعد الذراعينِ والساقينِ والهادى

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحد وعند
آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضروبَ وتجاوزته حتى غاص في
الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فنستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يَطِيرُ فُضاضاً يَنْهَمُ كُلُّ قَوَسٍ ^(١) وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ
تَقْدُّ السَّلَوقُ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقَّدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْجَبَاحِ ^(٢)
يقول انها تقدد الدرع التي مضوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقده
النار بالصُّفَّاح : وهي حجارة . ومن بليغ ما قيل في صفة السيف قول ابن
يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الاياسى القاضي عن الهيثم بن
عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي
وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدي فاشتراه موسى
الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بني العباس مُخْلَقاً وأكثرهم عطاءً
للمال قال فجرده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودما بمكثل فيه دنانير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حَازَ صَمَصَامَةَ الزُّبَيْدِيُّ مِنْ يَمِينٍ جَمِيعَ الْأَنْعَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفُ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا خَيْرَ مَا أَغْمَدَتْ عَلَيْهِ الْجَفُونَ
أَوْقَدْتَ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَاراً ثُمَّ شَابَتْ بِهِ الرُّشَافُ الْقُيُونُ
فَإِذَا مَا هَزَّتْهُ ^(٣) بَهَرَ الشَّمْسُ ضِيَاءً فَلَمْ تَكُنْ تَسْتَبِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارُ كَالْقَبْسِ الْمَشْعَلِ مَا تَسْتَقَرُّ فِيهِ الْعُيُونُ
وَكَأَنَّ الْفَرْنَذَ وَالْجَوْهَرَ الْجَا رَى فِي صَفْحَتِهِ مَاءً مَعِينُ
نِعَمَ مَخْرَاقُ ذِي الْخَفِيزَةِ فِي الْهَيْجَا بَعْضَاتِهَا وَنِعَمَ الْقَرِينُ
مَا يَسَالَى إِذَا اتَّضَاءُ لُضْرِبِ أَشْمَالُ سَطَتْ بِهِ أُمُ يَمِينِ
وَكَأَنَّ الْمَنُونَ نَيْطَ الْيَبِ فَهُوَ مِنْ كُلِّ جَانِبِهِ مَنُونُ
أَخَذَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ تَشْبِيهَهُ السَّيْفِ بِالشَّمْسِ ثُمَّ بِالْقَبْسِ لِأَنَّهُ قَدْ حَطَّهُ
دَرَجَاتٍ ، فَقَالَ مُوسَى أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي وَاسْتَخَفَّهُ الْفَرَحُ فَأَمَرَ لَهُ بِالْمَكْتَلِ وَالسَّيْفِ

(١) فُضاضاً متفرقا : والقوس أعلى الرأس . (٢) السالوق : درع منسوب

لبلدة سلق ، والجباح ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمت لأجلى فدونكم المكنى ولى فى هذا
السيف غنى ، قال فقام موسى فاشتري السيف منه بمال جزيل هـ .
وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضَعُفْتَ عن حملهِ وكن وزنه سِتَّةَ أَرْطال فقال عمرو مَا ضَعُفْتُ فَنَاتِي
ولا جناني ولا لسانى وان اختلَّ جُثْمَانِي وهو لك على انه او حش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهْ ولكنَّ المواهبَ فى الكرام
خليلٌ لم أخنه ولم يخُنِّى على الصمصامِ أضعافُ السلام
قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » يقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنسى واذا أظلم لى الليل اضاء لى . وقال البحرى :

مُصْنَعٌ الى حُكْمِ الرَدَى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقِّدٌ يَبْرِى بأوَّلِ ضربةٍ ما أدركتْ ولو أنها فى يذبل
فاذا أصابَ فكلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ واذا أصيبَ فاله من مقتل
يعشى الوغى فالترسُ ليس بجنةٍ من حدهِ والدرعُ ليس بمَعْقِلٍ
وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجلٌ
من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابى فى نمرته عاتقٌ فى
حبلته أسدٌ فى تامورته نبطى فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بَصِيرٌ قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخظىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة ، كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانتك قال فأخبرني عن الترس قال هو الحجن وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أممك الثكلي قال بل أمك والحمى أضرعتني
لك . المرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعائق الجارية الكعاب وصفه بالحياء
والتأمورة ههنا الاجة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحمى أضرعتني لك أى الاسلام قيّدني لك وأذلني ولو كنت في الجاهلية
ما كلتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضر به عند الشيء يضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغرّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت واتق الرمح فانه رشاً
المنية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :
جلاميدُ املأ الكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقت في المواسم
فمليك بها فالصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحامُ ولم يزغ عن ساحته وزاغت الابصارُ
فَقَنَّا يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكانها تحت الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أَرْجَجةً ودُروا
وكانَ أيديهم تُنْقَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوا
وقال أيضاً :

بطعنٍ تَضِعُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كماشقُ الرداءِ المرَعَبَلِ
وقال أيضاً :

قَرَبْنَا بعضَهم طعنًا وجميعًا وضربًا مثلَ أفواهِ اللقاحِ

وقال البحتري وأحسن في ذلك :

ألوى إذا طعن المدجج صكه ليديه أونسثر القناة كعوبا
فأنا النذير لمن تغطرس أوطى من مارن يدع النصور جوبا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤ بفراره لكان لصدر الرمح في لؤلؤ ثقب
ومن المختار قول مالك بن نويرة :

بسمر كأشطان^(١) الجزور نواهل يجور بها ذو المنايا ويهتدى
يقعن معاً فيهم بأيدي كاتنا كأن المنايا للرمح بموعده

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبد مناف بن ربيع :

فالطعن شعشة والضرب هيعة ضرب المعول تحت الديمة العضدا
وللقسى أزاميل^٢ وغفمة حس الجنوب تسوى الماء والبردا

الهيعة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيعة الحجر والحديد ، وشبهه

أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو

أن يعمد الراعى إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين

متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أى يقطع والعضد المصدر.

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :

يظل من الحرب العوان بمزل وآثاره فيها وان غاب شهيد
كما احتجب المقدار والحكم حكمه على الناس طراً ليس عنه معرّد^(٢)

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهر طلاع بأحداثه ورسله فيها المقادير

محبوبة تنفذ أحكامها ليس لنا عن ذاك تأخير

وقال: حصرت عيذ الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالماكيد جُنْدَهُ
تجفُّفها حتى كأنك مبردٌ
وتزدارهم جنداً وجيشك محصدٌ^(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوئبة
عماس كذاك الليث للوئب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقداره فكأنما
تقوَّضَ شَهلانٌ عليه وصنَدَدَ

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلمع وهو الكثير
القلع للأشياء، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فرعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها :

* أفيضاً دماً أن الرزايا لها قيم * وإنما هو «دَرَم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام :

هرزت له سيفاً من الكيد إنما تجذ به الاعناق مالم يجرد
يسرُّ الذي يسطو به وهو مغمدٌ ويفضح من يسطو به غير مغمد
يقول أن أخفيت الكيد ظفرت وسررت وإن أظهرته اقتضحت وخبت .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول :

أنهبت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تُردُّ لريب الموت عنه يدُ
كأنها وهي في الأرواح والفة وفي الكلى تجد الغيظ الذي يجدُ
من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل مافي متنه أودُ
كأنه كان خدن الحب مذ زمنٍ فليس يُعجزه قلب ولا كبَد
ويُشبَّه بياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى :

ذكره يروقه الدماء كأنها يعلو الرجال بأرجوان فاقع

وثرى مضارب شفرتيه كأنها ملح تنثر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
مُتَوَّسِدًا عَضْبًا مضاربُه في مَتنه كدبة النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّه ابن مُجَدَّع له رَوْنُقٌ ذَرِيه يتأكل
وأشبرنيه الهالكى كأنه غدِيرٌ جَرى في مَتنه الريحُ سلسل
وأخرج منه القين أثرًا كأنه مَدَبٌ دَبًا سودٍ سرى وهو مسهل
وقال ابن المعتز وأبدع :

وَجَرَّدَ من اغماده كلَّ مُرْهَفٍ إذا ما انتضته الكفُّ كاد يسيلُ
ترى فوقَ مَتنه الفرندَ كأنما تنفسَ فيه القين وهو صقيلُ
وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانبٍ خصره أَمْضَى من الأجلِ المُنَاح
وكأنما ذرَّ الهيا ما عليه أنفاسُ الرِّياح

وقال قيس بن الخطيم :

أَجْالُهُم يومَ الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراقٌ لا عب
بسيف كأن الماء في صفحاته طحاريرُ غيمٍ أو قرونُ جنادٍ
أخذه ابنُ المعتز فقال :

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ فما ينتفى إلا اسمك دِماؤ
ترى فوقَ مَتنه الفرندَ كأنه بقيَّةُ غيمٍ رقَّ دون سماءٍ

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خيرُ ما استعصمت به الكفُّ غضبُ ذكركم مَتنه أنيثُ المهر
ماتاً ملته بعينك إلّا أبرقت صفحاته من غير هز
مثله أفزع الشجاع إلى الدر ع ففالي به على كلِّ بر

(٨ - ثاني المعاني)

ما أبالي أصممتُ شفرتاهُ في محزٍ أو جازنا عن محزٍ
 وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغماد
 وكان الآجال ممن أرادوا ومظاياها كانت على ميعاد
 وقلت : تميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفان بين السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حين سُلت ورق هزّه سقوط قطار
 ودروعٍ كأنها شمسٌ جمدٌ دهنٌ يضلُّ فيه المدايرُ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح :
 وبكلِّ عرّاصٍ المهزّة مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقد
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزدرد :

أصم إذا ما هزّت مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائل
 له رائدٌ ماضى الفرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمة الليلِ ناحل
 وقال الاثمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :
 وأصمّ مربوعٌ يرى مأريته بصيرٌ إذا صوبته للمقاتل
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رُدْبَنِيٍّ كأنَّ كعوبه قطانسق يستورد الماء صائف
 كأن هلالاً لاح فوق سراته جلال الغيم عنه والقتام الحراجف^(١)
 وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :
 نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصى في النسيج المددِ
 الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن
 ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحرى في قوله :
 في معركٍ ضنكٍ تحالُّ به القنا بين الضلوع إذا نحنين ضلوعها

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى غصن من البان نابت
 بطول أساني في العشرة مصلحاً على أنه يوم الكربة ساكت
 والسكوت في الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمانة
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والابعاد من فشل * وقلت في الرمح :
 يفدو بصدق الكعوب لذن يهتز ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة في كفه نجم دجى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصره أزرى بها فتعطلا
 كتوم طلاع الكف لا دون ملثها ولا عجسها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأملا
 مخيرن أنصاء وركبن أنصلا كجمر الغضا في يوم ريح تزيلا
 وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز
 وقال آخر : وهي إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الثكلى أبت لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند النزع والتوتير في سيتها رنة الطنبور
 وقال الاصمعي : أحسن كلام في الإيجاز قول عكلى في صفة قوس :

* في كفه معطية ممنوع * ومن أحسن ما قاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشوا الجفير هو السهام ، والجفير الكفانة .

أَتَبِجْ لَهَا هَفَانٌ يُخْطِمُ قَوْسَهُ ^(١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرَى ^(٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كِيدَرِي مَوَاشِطَ بَعْنٌ بِهِ فِي مَفْرَقٍ فَتَغْلَغَلَا
بَطِيئًا إِذَا أَسْرَعْتَ إِطْلَاقَ فَوْقَهُ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأَتْ فِي النَّزْعِ عَجَلَا
وَأَجُودَ مَا شُبِّهَ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخَرِ :

أَفْوَاقُهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاهُ أَفْرِخَةٍ مِنَ النَّفْرِانِ
وَالنَّفْرِانِ جَمْعُ نَفْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي ^(٣) :

* وَنَبِيٍّ وَقَفَاها كَعَرَايِبِ قَطَا طَحَل * أَخَذَهُ عَتَّابٌ بْنُ وَرْقَاءٍ فَقَالَ ^(٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنْكِبِهِ شَرِيَانَةً مِمَّا اصْطَفَى بَارِي الْقَسَى وَاتَّقَى
أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتَّينَ فِي كِنَانَةٍ مِمَّا بَرَى
ذَاتَ رُؤُوسٍ كَالصَّايِحِ لَهَا أَسَافِلُهُ مِثْلَ عَرَايِبِ الْقَطَا
إِنْ حُرِّكَتْ حَنْتَ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنَةِ الْوَالِدِ مَنْ فَقَدَ الطَّلَا ^(٥)
حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ يَبْعُضُهَا لَانَتْ وَمَالَ طَرْفَاها وَانْشَى
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْسٍ بَنْدَقٍ ^(٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالْفُرُورَ ^(٧) الَّتِي بِهَا وَإِنْ لَمْ تَجِدْهَا الْعَيْنُ إِلَّا تَتَّبَعُهَا
مَذَرْتُ سَحِيقَ الْمَسْكَ فَوْقَ صَلَابَةٍ أَدَبَ عَلَيْهَا دَارِجُ الذَّرِّ أَوْ كَرُّهَا
لَهَا أَوَّلُ طَوْعِ الْبَدِينِ وَآخِرُهُ إِذَا سُمِّتَهُ الْإِغْرَاقُ فِيهِ تَمْنَعُهَا
تَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّمَا دَعَاها لَهُ دَاعِي الْمَنَايَا فَاسْمَعُهَا
يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْعِ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَمِنْكَ بَلْ أَذْكَاءَ وَأَسْرَعُهَا

(١) جَمْلُ الْإِثْرِ بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ . (٢) الْقَرَى: الظَّهْرُ . (٣) الْفَنْدُ الزَّمَانِي :

اسْمُهُ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، كَانَ سَيِّدَ بَكْرِ وَقَائِدَهَا فِي زَمَانِهِ .

(٤) مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ الْأَبْطَالِ . (٥) هُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَيَوَانِ .

(٦) كُرَّةٌ صَغِيرَةٌ يَقْدِفُونَ بِهَا . (٧) الْفُرُورُ : الْفُضُونُ

لها عولةٌ أولى بها من تصيبه^١ وأجدرُ بالأُعوالِ من كان موجعا^٢
 وهذا مثل قوله في امرأة :
 تشكى المحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً كالقوسِ تصبى الرمايا وهي مرنان
 وقال المتنبي في سداد الرمي :
 يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض وقال الراجز في ضد ذلك :
 مستهترٌ بالرمي وإهٍ عاضده يطيعه القلبُ وتعصيه يده^٣
 أحصن شيء يوم يرمي طرده كأنه فواده أو كبده
 وقال ابن الرومي في سهام :
 وكل ابن ريج يسبقُ الطرفَ معجبه مرووقٌ ومنزوعٌ لدى حومةِ الجذب
 صنيعٌ مريشٌ قومَ القينِ متنه نجاءٌ كما سلَّ النخاعُ من الصلب
 يغلغله في الدرعِ نصلٌ كأنه لسانٌ مشجاعٌ محرجٌ همَّ بالسلب
 وقال ابن المعتز في قوس البندق :
 وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ تحاكي الحليَّ بأطواقها
 غدونا عليه وشمسُ النهار لم تكسه ثوبَ إشراقها
 فظلنا وظلت عُيونُ القسي ترمي الطيورَ بأحداقها
 وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :
 ترى غابةً الخطى فوق رؤوسهم كما أشرفت فوق الصوار^(١) قرونها
 وما يجري مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :
 وما الذنبُ إلا العريكةُ الفتى وما ذنبه أن جاوزته المطالبُ^٤
 ومن كان غير السيفِ كافلَ رزقه فللذل منه لا محالة جانب
 وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذى يزن يذ كر القوس :

هَزَّوْا بِنَاتِ الرِّيحِ نَحْوَهُمْ أَعَوْجُهَا طَامَحٌ وَزَمَزَمَهَا
كَأَنَّهَا بِالْفَضَاءِ أَرْشِيَّةٌ يَخْفُ مِنْقَوْضَاهَا وَمُبَرِّمَهَا
فَأَمَّا النَّبَلُ فَقَدْ جَاءَ فِيهَا عَنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الدَّرُوعِ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :
وَبِيضٌ مِنَ النَّسِجِ الْقَدِيمِ كَأَنَّهَا نِهَاءٌ ^(١) بَقَاعٌ مَاؤُهَا مَتْرَاعٌ ^(٢)
تَصْفَقُهَا هَوَجُ الرِّيحِ إِذَا صَفَتْ وَتَعْقِبُهَا الْأُمُطَارُ فَلَمَاءُ رَاجِعٍ
وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

تَفِيضٌ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْآتِي ^(٣) عَلَى الْجَدِّ جَدٍ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

يَمْشُونَ فِي زَرْدٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونَ نِهَاءٍ
بِيضٌ تُسِيلُ عَلَى السَّكَاةِ فَضُولَهَا سِيلَ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بِيْدَاءٍ
وَإِذَا الْأُسْنَةُ خَالَطَهَا خَلَّتْهَا فِيهَا خِيَالُ كَوَاكِبٍ فِي مَاءٍ
وَمَعْنَى الْبَيْتِ الْآخِرِ دَقِيقٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ مُصِيبٌ مَا أَظْنَهُ سَبَقَ إِلَيْهِ .

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الدَّرْعِ قَوْلُ بَعْضِ بَنِي هَاشِمٍ :

وَعَلَى سَابِقَةِ الذُّبُولِ كَأَنَّهَا سَلَخٌ كَسَانِيهِ الشَّجَاعُ الْأَرْقَمُ

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْحَرْبِ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَنِ الْعَقْدِيِّ عَنْ
أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِعَبَادِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَأَكْلِ نَصْرِ بْنِ
رَبِيعَةَ صَوْلَةٍ فِي الْحَرْبِ قَالَ لَقَدْ قُلْتُ بُطْلَانًا وَنَطَقْتُ خَطْلَانًا وَكَانُوا وَاللَّهِ إِذَا أَطْلَقُوا
مُعَقَّلَ الْحَرْبِ رَأَيْتُ فَرَسَانًا تَمُورُ كَرَجْلِ الْجَرَادِ وَتَدَافِعُ كَتَدَافِعِ الْأَمْدَادِ فِي فَيْلَقٍ
حَافَاتِهِ الْأَسْلُفُ يَضْطَرُّبُ عَلَيْهَا الْأَجَلُ إِذَا هَاجَتْ لَمْ تَنْتَهِ دُونَ بُلُوغِ أَرَادَتِهَا وَمُنْتَهَى غَايَاتِ
طَلِبَاتِهَا لَا يَدْفَعُهَا دَافِعٌ وَلَا يَقُومُ لَهَا جَمْعٌ جَامِعٌ وَقَدْ وَثَّقَتْ بِالظَّفَرِ لَعَزَّ أَنْفُسُهَا

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد. (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضرارة عادتها فإلها العلو^١ والتمكين^٢ ولمن ناوأها الذل^٣ والتوهين^٤
خصت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم
عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جرير^٥ هشام بن عبد الملك :

لقومي أحمي^٦ للحقيقة منكم^٧ وأضرب^٨ للجبار والنقع^٩ ساطع
وأوثق^{١٠} عند المردفات^{١١} عشية^{١٢} لحاقاً إذا ماجرد^{١٣} السيف لامع^{١٤}
فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن^{١٥} ألا جعلتهن كنسوة المحبل فما
سمعنا بعربيات قط أمنع^{١٦} منهن حيث يقول :

وساقطة كور^{١٧} الحمار حيدة^{١٨} على ظهر عرعى زال عنها جلالها^{١٩}
تشد^{٢٠} يديها بالسنام^{٢١} وقد رأت^{٢٢} مسومة^{٢٣} يأوى إليها رعالها^{٢٤}
نزلنا فساقينا الكمة^{٢٥} دماءها^{٢٦} سجال المنايا حيث تسقى سجالها^{٢٧}
وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربوط^{٢٨} النعامة^{٢٩} منى^{٣٠} لقحت^{٣١} حرب^{٣٢} وائل عن حيال^{٣٣}
قرباًها فأف^{٣٤} كفى^{٣٥} رهن^{٣٦} ان تزول^{٣٧} الجبال قبل الرجال^{٣٨}

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحب^{٣٩} الذين يقَاتِلُونَ في
سبيله صفاً كأنهم بُنيان^{٤٠} مَرْصُوص^{٤١}) ولم يصف أحدهم من المتقدمين والمتأخرين
القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت^{٤٢}
عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليلي نحيبها*
واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان
مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحد قبله أولها
* ألم تر تغاييس الزبيع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
ما ينشد له ويمعجب من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صُبحاً وإنما
 إذا زجرَ النوقى فوقَ علاته
 يغضون دُونَ الاستنَامِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له
 إذا ما انكفا في هبوةِ الماءِ خلتهُ
 وحولك رُكَّابونَ للهولِ عاقروا
 تَميلُ المنايا حيثُ مالتُ أكَفُّهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم صُهبُ العثانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فمارحت حتى أجلت الحرب عن طلى
 على حين لا تقمُ يطوحُه الصبا
 وكنت ابن كبرى قبل ذاك وبمدهُ
 جدحت له الموتَ الزعافَ فمافهُ
 مضى وهو مولى الريح يشكرُ فضلها

ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنترة :
 أينما فما نُعطى السَّوامنِ عدونا قياماً بأعضاء السراء ^(١) المعطَّف
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضْوِيَّة ^(٢) وسهم كسيرٍ الحيرى الموقفِ
 وقال راشد بن سهاب ^(٣) الشكرى :

ونبلِ قرانِ كالنَّسورِ سَلاجِمِ وفِلَقِ هَتوفٍ لاسقى ولا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على ما في القاموس .

وَمُطَرِدِ الْكُعْبِينَ أَحْمَرِ حَاقِدِ وَذَاتِ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمِ
وصف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذي
لاحجمله ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذي يشرب الماء ، والنشم شجره .
ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (١) :
إذا ماعلونا ظهرَ نشزَ كأنما على الهام مناقِضُ يُبيضُ مفلق
وقول الآخر * كأنَّ نعامَ الدَّوِّ باضَ عليهم * ورواه بعضهم :
كأنَّ نجاجَ الجوِّ باضَ عليهم * فقليل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النجاج
لا تكون في الجو والآخر أنها لا تبيض . ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز :
وبيضُ كأنصافِ البدورِ أبيضُ إذا امتحنتهنَّ السيوفُ خيارُ
فتشبيها بأنصافِ البدورِ تشبيه غريب مصيب .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :
حمرُ السيوفِ كأنما ضربت لهم أيدي القيون صفائحاً من عسجد
في فتية طلبوا غُبارك أنه رَهجٌ ترفعُ عن طريقِ السُودد
كالرمح فيه بضم عشرة فقره مُنفادة خلفَ السنانِ الاصيد
وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إذا شَدُّوا عِصَمَهُمُ ثَنُوهَا على كَرَمٍ وان سَفَرُوا أَنَارُوا
بيعُ ويشترى لهم سوام ولكن في الطعانِ مُهمُّ التجار
ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خَلِقتُ أَنَامِلَهُ لِقَائِهِ مُرْهَفٍ وَلَبِثْتُ عَارِفَةً وَذِرْوَةً مِنْسَبِرٍ
يلقى الرماحَ بوجهه وبصدره وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمِفْصِرِ
ويقولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لَشَبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحِجْرِ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ
وإذا تأملَ شَخْصَ ضَيْفٍ مَقْبَلٍ مُتَسَرِّبِلٍ سَرِبَالٍ لَيْلٍ أَغْبِرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التميمي الحجازي، يُعَدُّ في طبقة المتلمس.

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نَحَرَتْنِي الاعداءُ إن لم تنَحِر^(١)
ومن أبلغ ما حذّر به الحرب قول بعض المعجم : دافع بالحرب ما أمكن فان
النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح.
وقال النابغة الجعدي :

وتستلبُ المالَ الذي كانَ رَشِبها ضنيناً به^(٢) والحربُ فيها الحرائبُ
فنبهه أبو تمام فقال * والحربُ مشتقة من الحرب * وقول جندل الطعان :
دعاني أشبُّ الحرب بيني وبينه فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السِّلْمِ
ويايك والحرب السّي لأديهما صحيحٌ وما تنفكُ تأتي على الرغم
فان يظفر الحزبُ الذي أنتَ منهم وينقلبوا ملء الأُكف من الغُصم
فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهم وإلا فجرحٌ لا يكون على العظم
فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
وكان صريع الخيلِ أوّلَ وهلة فبعداً له مختار جهلٍ على علم
ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أجد في خبر أخبرناه
عن الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
عليّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
يا أيها الرّجلُ الذي يمينه غيثُ الزمان وصولَةُ الحدّثان
أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا أن السيوفَ تحيةُ الفتيان
قد أبطرتك سلامةٌ فتسيتَ ما أسلفتَ من برٍ ومن إحسان
والدهرُ خدنٌ مَسرّةٌ ومضرّةٌ مُتقلِّبٌ بالناسِ ذو ألوان
يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالمعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
ذلك سبباً للحرب فيحجى بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيان .
وقال عليّ بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الأبيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُ تُعْطَى إِذَا عَمِلَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ قَوْلَ النَّابِغَةِ : أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدُ
قَالَ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَنْشَدَنَا الْمُبَرِّدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي
تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ :

خَيْلٌ صَيَّامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَمْلِكُ الْجُمُ
قَالَ ثَعْلَبُ قُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الصَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَصْهَلُ وَغَيْرِ الصَّائِمَةِ الَّتِي
تَصْهَلُ فَمَا هَذِهِ الْأُخْرَى ؟ قَالَ الَّتِي تَمْلِكُ الْجَمْعَ فِي السَّكِينِ .
أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْبَشْرِيُّ يَصِفُ تَأْدِيبَهُ فَرَسُهُ :

عَوَّدَتْهُ فِيمَا يَزُورُ حَبَائِثِي إِمَهَالُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطَرِ
فَإِذَا احْتَبَى قُرْبُوسَهُ بَعْنَانَهُ عَلَّكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
وَمَنْ أَجُودَ مَاقِيلَ فِي ارْتِفَاعِ الْغُبَارِ وَلِمَعَانِ الْأَسْنَةِ فِيهِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلَ النَّابِغَةِ :
تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَائِعَةٌ نُورًا بَنُورٍ وَإِظْلَامًا بِأُظْلَامِ
قَالُوا أَرَادَ قَوْلَ النَّاسِ : لِأُرَيْتَكَ الْكَوَاكِبَ نَهَارًا ، وَقَالُوا أَرَادَ تَوْضِيحَ الْأَسْنَةِ
فِي سَوَادِ الْعِجَاجِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مَاقِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
وَقَالَ النَّمْرِيُّ : لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَانَتْهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارُ
وَأَبْلَغَ مَاقِيلَ فِي الْأَقْدَامِ وَالْإِقْدَارِ عَلَى الْعَدُوِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَشِيَّةً كُنَّا بِالْخِيَارِ عَلَيْهِمْ أَنْتَقَصُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ أَمْ نَزِيدُهَا
وَمَنْ بَدِيعَ الْمَعَانِي فِي صِفَةِ اللَّقَاءِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :

عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ الْقَرَى ^(١) أَعُوجِيَّةٌ إِذَا طَرَدَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا طَرِيدُهَا

وما قاد من قوم الينا جيادهم فنلقاهم إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي وعشوا البرايا بالهوى والרגائب
إذا طلبوا روح الحياة وطيبها فبين سواق للردى وحواصب
إذ البيض في سود القساطل أنجم غوارب تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يوم الكربة مضمّر تشول الى الهيجاء شول العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحلة أمارت بنات الحنف من كل جانب
ترد الجياد تحت قسطة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأف بحده ضرائب من تصميمه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق^(١) :

بجأواء ينفي وردّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكب
الجأواء : الكتبية يضرب لونها الى الكلفة وذلك من صدا الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لا تسعهم والأمكنة تضيق بهم فكلمنا نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

تري الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولد في بطن أمه . ومثله قول النابغة :
جمع يظل به الفضاء معضلاً^(٢) يدع الأكام كائهن صحارى
وأعجب من هذا قول زيد الخيل^(٣) :

(١) لعنه الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلب أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وسر به الرسول ﷺ

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأم كم فيه سُجداً للحوافر
 وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
 أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال
 قالت ليلي بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أهلك حيث يقول
 * بجيش تضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خنم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترضيه :
 لعمرى وما عمرى على بهين لنعم الفتى غادرت آل خنم
 وكان إذا ما أورد الخيل ييشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فالجأ
 فأرساها رهواً كأن رعالها جراد زهته ريح نجد فأتها
 فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تضل
 البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
 في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
 ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
 النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
 وفيهم فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس النزوع^(٣) لياليا بأد عن جرار عريض المبارك
 ترى العرفج الحولى^(٤) تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
 إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
 نسير فلا تنجو اليعافير وسطنا وان داءلت منا بشد مواشك

(١) ييشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « النزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فاجبات الشام قد حال دونها ضراب^١ كأفواه المطى^٢ الأوارك
 بأيدي رجال هاجروا نحورهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا قبل الغضروط من أرض عالج فقولاً له ليس الطريق هناك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :

وأقبل عامر^٣ من لبن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك^٤ اللقاء فيه فتشدد^٥ والمفضضة^٦ اللطيم^٧
 ومن يبلغ مقاله محدث في كثرة الجيش وتكافئه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس^٨ أدجوان^٩ كأنه قميص^{١٠} محوك^{١١} من قنا وجياد^{١٢}
 الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجي ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أناك يقود^{١٣} جيشاً أرعنا^{١٤} يمشى^{١٥} عليه كثافة^{١٦} وجوعا^{١٧}
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء^{١٨} سحابة^{١٩} لظل^{٢٠} عليهم حصبها^{٢١} يتدحرج^{٢٢}
 وهو من قول قيس بن الخطيم :
 لو أنك تُلقي حظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة^{٢٣} المتقارب
 السام^{٢٤} : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد نقود^{٢٥} الخيل تخطر^{٢٦} بالقنا فتص^{٢٧}هن^{٢٨} على المدى^{٢٩} آجالا^{٣٠}
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجري بطاء^{٣١} إذ جر^{٣٢} بن عجالا^{٣٣}
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :
 أوزجروا مكفهر^{٣٤} لا كفاء^{٣٥} له كالليل^{٣٦} يخلط^{٣٧} أصراما^{٣٨} بأصرام
 تبدو^{٣٩} كواكب^{٤٠} والشمس^{٤١} طالعة^{٤٢} نوراً^{٤٣} بنور^{٤٤} وإظلاماً^{٤٥} باظلام^{٤٦} (١)

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :
 كأنها زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار سري من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدث يوماً فقال له رجل كان يجالسُه
 يقال له حنيس : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج
 عظيم الثمرة لين المهزة أحد من مغرز عنق الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعني السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمِل على القناة قول مسلم :
 ويجعل الهام تيجان القنات الذبل . مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصرا

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :
 أنظر اليه ^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجمال ودُرعا
 رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صحة رميه فتسمما
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحتری :

قترآه مطرداً ^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء

وقول ابن الرومي :

يلعب الدستبند ^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند
 وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل «الى» . (٢) أى مستقيماً . (٣) أهل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمد يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شَلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تَنُورٌ شَاوِيَةٌ وَالْجَنْعُ سُفُودٌ^(٢)
 ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن العُقدي عن أبي جعفر عن
 المدائني قال قال بعض أهل خراسان لو كيع كيف قتلت ابن خازم؟ قال لما صرع
 قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبت به بفضل القنا وقلت يا لثارات دويلة
 فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك عالج لا يساوي كف نوى وتنخّم في
 وجهي فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال
 هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ما قيل في طرائق الدّم على المطعون قول أبي خراش الهذلي :
 ونهنتُ أولى القوم عني بطمنة كأوشحة العذراء ذات القلائد
 أوشحة جمع وشاح وهو سيرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكَ عَلَيْهِ ودع فشبه لون الدم
 بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الخنذر من الموتور ما قلت فيه :
 لا تأمننَّ أخا العداوة إنه إن أمكتهُ فرصةٌ لم يُمهّل
 لله دَرَكٌ كيف تأمنُ محققاً تغلي عداوة صدره في مِرْجَل
 ما الحزمُ إلا في اجتثاثِ أصوله والايّم^(٣) لم يؤمن إذا لم يقتل
 ومن الجيد مما قيل في سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفذتهم كرت عليهم بطعنٍ مثل أفواه الخبور^(٤)
 الخبرُ المزايدة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس^(٥) :

بطعنٍ كاليزاغ^(٦) المحاض إذا اتقت وضربٍ كأفواه المفرجة الهدل
 شبه اللحم الذي يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذي به قروح في فمه

(١) الشلو : المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديد التي يشوي بها .

(٣) الايّم : الثعبان . (٤) الخبور : القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) ييزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسيفنا آثارهنَّ كأنها مشافر قرحى في مباركها هـدل
 وقال غيره :

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإزاع المحاض تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطعن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهَش وعجله
 يردُّ في نحر الطيبِ فله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير ^(١) :
 وطعنة خلّس كفرع الأزاء ^(٢) أفرغ في مشعب الخائر
 تهال العوائد من فرغها ^(٣) تردُّ السبار على السابر
 السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والخاير
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمشعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معها ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بني عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .
 (٢) هو منفذ الماء إلى الخوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولن فرغ الضربة .
 (١٠ - ثانى المعاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر تماماً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمر وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم في شخص ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قيمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شدورها وينظم منشورها . وقلت فى معناه :

الكتبُ عقلُ شوارِدِ الكلمِ والخطُ خيطُ فرائدِ الحكمِ
بالخطِ نُظِمَ كلُّ منتشرٍ منها وفُصلَ كلُّ مُنتظمٍ
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلمِ
واختلف الناسُ فى الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن
اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ
ميت والمخاطب به حى يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع
اجتماعهم فى الصفة وخط الإنسان كحليته ونعته فى اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه
كاضافة الثقافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل فى حُسن الخط والشكل قول أحمد بن السمعيل :
مستودِعٌ قرطاسه حِكْمًا كالروضِ مَيِّزِ يِنَّه زَهْرُهُ
وكانَ أَحرفَ خطه شَجَرُهُ والشكلُ فى أضعافه ثَمَرُهُ
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكأن
مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديمٌ وجهها وكأن قلمها بعض أناملها وكأن
بيانها سحرٌ مُقلتها وكأن سكينها سيفٌ لحظها وكأن مقطعها قلب عاشقها .
وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سيبٌ
يَسْبُرُ عنه الروضُ وهو مُنمِنٌ ويُخبِرُ عنه الوشى وهو قشيبٌ
سوادٌ مدادٌ فى بياض صحيفة يقول شبابٌ بالمشيبِ مشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خدِّ الصباحِ تصوبُ
ومن غريب ما قيل فى الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال
أنشدنى عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته مُوشى نمنته
و حاكته الأناملُ أى حوك
بشكل يؤمن الأشكال فيه
كأن سُطوره أغصانُ شوك
وقلت : يياضُ صحيفة تلتاحُ حسناً
كفيم رِقَّ في أطرافِ جوِّ
ومحكى أرض كافور صريح
بها نبذ من المسك الذريح
كثل الليل في مُصبح صديع
ومثل الصُدغ في وجه صبيح
وبين سُطوره عجم^(١) مصيب
كمثل الخال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى
قال سُئل بعضُ الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصفَ بالجودة فقال : إذا
اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سُطوره وضاهى صعوده مُحدوره
وتفتحت عيونه ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
أجناسه وأسرع في العيون تصوُّره وإلى العقول تشمره وقُدِّرت فصوله واندجحت
وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن تصنع المحررين
وقام لكتابته مقام النسبة والخلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجال قرطاسه وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
حروفاً تعيد لعين الكليلة نشاطاً ويقروها الأخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذى نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ . ومن مליح التشبيه قول الاعرابي وقد قال له
هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحلقمة صغيرة
تدبها ثلاث كاذباء الكلبة يفضى الى هنةٍ كأنها قطاةٌ بلا منقار . فهم هشام
بالصفة أنها « خمسة » ^(١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العباس الرُّبعي عن الطُّلحي عن أحمد
ابن إبراهيم قال دخل اعرابيٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واصمعيلى يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطأً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكاتب فقال مارأيت أطيّش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيقٌ حواشى الحليم حين تَبورُهُ يريك الهوينا والأُمورُ تطيرُ
له قلمٌ بُوسَى ونعمى كلاهما سحابتُهُ فى الحالتينِ درُورُ
يناجيك عما فى ضميرك لحظةً ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسيرُ

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا
فيه نحنُ نقومُ به ، ادفموا اليه دية الحرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشى الحليم » ردىء لانب الحليم يُوصَفُ بالرزانة لا بالارقة ،
واستمع أبو تمام هذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والأُمور تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحبُ قلمٍ صاحبَ سيفٍ فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلا فالى
السيف معاده أما سمعت قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ فى حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ

وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأقلام مُدَّ بُرَيْتَ انَّ السِيفَ لها مُدُّ أرهفت خدَم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقمة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميِّ له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ
 بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ أداةُ المنيةِ في جانبيهِ
 ظهرتَ على سرِّه الغائبِ سنانُ المنيةِ في جانبِ
 فمن مثله رهبُ الراهبِ ألم ترَ في صدره كالسنانِ
 وسيفُ المنيةِ في جانبِ وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كفٍّ لثِ الورى للندى وقلت : أبيت بالليلِ غريبَ الكرى
 يأخذُ مني الدرسُ والكتبُ وقيمُ الحكمةِ في أملي
 يصوغُ ما يسبكه اللبُّ أنفُ ضميري حينَ أرفعتهُ
 أفرغُ ما استوعبه القلبُ لسانُ كفي حينَ أنطقتهُ
 أرضاك منه المنطقُ العذبُ مُنحَفٌ في خلقه ذابلُ
 مُعَظَّمٌ في فعله ندبُ ان لم يكن كالعضبِ في حدهِ
 فانه في فعله عضبُ ينكسه المرءُ فيعلو بهِ
 ورُبَّ نكسٍ غبَّه نصبُ ومُذْ عرفنا لذةَ العلمِ لا
 يُعجبنا الحلو ولا العذبُ

وقال البحتري في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم أبدت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارحِ
 فلا غرتني من بعدكم عزُّ كاتبٍ إذا هو لم يأخذ بمحجرة راحِ
 ومن أحسن ما وصِف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
 لك القلمُ الأعلى الذي بشباته تُنالُ من الأمر الكلي والمفاصلِ
 لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابهُ وأرى جنى شارته أيد عواسلِ
 له ريقةٌ طللٌ ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغربِ وإبلِ

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكرِ وهي حوافلُ
 أطاعته أطراف الرماح وقوَّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافلُ
 إذا استفزّر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ
 وقد رفته الخنصرانِ وسَدَّتْ ثلاثُ نواحيه الثلاثُ الأناملُ
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضنى وسميناً خطبه وهو ناحلُ
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلبٌ كئيب القلب حرّانه
 لو فرجَ الكربة عن مُدنفٍ تشفُّه لوعة أحرزانه
 برقعة ينظمها كفه نظمَ لآليه ومرجانه
 بمرهف الأحشاء ذي حلة موشية ترفع من شأنه
 لعبه يسرّ وعسرّه إذا جاد به تفلّيج أسنانه
 إذا امتطاه بشيبياته (١) كشف أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض جوادٍ وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم :
 أفدى البنان وحسن الخط من علمٍ إذا تقمعن بالحناء والكتم (٢)
 حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :
 في كفه مثلُ سنان الصعده أرقش بزّ الأفعوان جلدّه
 يلتهم الجيش اللشام وحده لو صادم الطود المنيف هدّه
 لو صافح السيف الحسام قدّه يأوى الى ظنّره له مُحْتَدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به ». (٢) نبت يخلط بالحناء، وإذا طبخ صار مداداً .

يُمَزَجُ فِيهَا صَبْرٌ بِشَهْدِهِ يُرَضِّعُهَا مِنْ مَقْلَةٍ مُسَوْدَةٍ
يَمُدُّهَا جَارِ كَثِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدِّهِ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسِرُ رَأْسُهُ لِيَضُمَّ بَيْنَ مُوَصِّلٍ وَمُقَصِّلٍ
تَنْظُرُ إِلَى مَخْلَابٍ لَيْثٍ ضَعِيفٍ وَغَرَارٍ مَسْنُونٍ الْمَضَارِبِ مَفْصَلِ
يَسْبُو لِنَظَرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ وَمَدَامِعِ سَوْدٍ وَجَسِيمٍ مُنَحَلِ
فَالدَّرَجُ أَيْضُ مُثَلِّحٍ وَاضِحٍ يَثْنِيهِ أَسْوَدُ مُثَلِّحٍ طَرَفٍ أَكْحَلِ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَاسِيَا فِي الْوَرَى فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِ وَأَمَلِ
طَعْمَانِ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمَرَارَةٍ كَالْدهْرِ يَخْطُ شَهْدَهُ^(١) بِالْحَنْظَلِ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ أَلْحَقْتَ فِيهِ مُؤْمَلًا بِمُؤْمَلِ
وَمُدَلَّلًا بِمُعَزَّزٍ وَلَرَبَّمَا أَلْحَقْتَ فِيهِ مُعَزَّزًا بِمُدَلَّلِ
وَقَلْتَ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي بِيُؤْسٍ وَأَنْعَمَ فَنَهَا بُوَادٍ تَرْتَجِي وَعِوَائِدُ
إِذَا مَلَأَ الْقُرْطَاسُ سَوْدَ سَطُورِهِ فَتَلَّكَ أَسْوَدُهُ تَتَّقِي وَأَسَاوِدُ
فَتَلَّكَ جَنَانُهُ تَجْتَنِي ثِمَارَتَهَا وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بُوَارِدُ
وَهُنَّ بَرُودٌ مَالِهِنَّ مَنَاسِجُ وَهُنَّ عَقُودٌ مَالِهِنَّ مَعَاقِدُ
وَهُنَّ حَيَاةٌ لِلْوَلَى رَضِيَّةٌ وَهُنَّ حَتُوفٌ لِلْعُدُوِّ رَوَاصِدُ
وَأَنْشَدْنَا أَبُو أَحْمَدُ قَالَ أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَضْلِ الطَّائِي قَالَ

أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هَمٌّ تُنَاطُ إِلَى الثَّرْيَا وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي الثَّلَاذِ
وَأَقْلَامٌ تُشَبِّهُا سُيُوفًا مَهْنَدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شَهْدَهُ » بَضْمُ الشَّيْنِ وَهُوَ سَائِعٌ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقَامُوسِ

« الشَّهْدُ بِالْمَتْنِ وَيَضُمُّ » .

يُخَطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بَيَاضاً فِي سَوَادٍ
إِذَا فَرَعَ الصَّرِيخُ أَمَدَّ خَيْلًا بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخَتَّمٌ مِنْ خَصَرِهِ
أَبَدًا تَرَاهُ وَصَدْرَهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرَهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِيدِ ذَكَرَ أَرْضَةً أَكَلَتْ كِتَابًا :

شَغَلِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شَغْلٌ دَفَتُرُ فَقِهِ أَوْ حَدِيثُ أَوْ غَزَلٍ
أَرْقَطُ ذُولُونٍ كَشِيبِ الْمَكْتَهَلِ تَخَالُهُ مَكْتَحَلًا وَمَا كَتَحَلِ
رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحَلٌ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلِ
يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَ مَا كَانَ أَضَلِ
كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنْ نَقْشِ حُلٍّ يُخَاطَبُ اللَّحْظَ بِنَقْطٍ لَا يَكِلُ

وَلَا يَمِلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمِلَ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لَا أَكُلُ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيدًا أَوْ رَخَّ بِهِ أَيَّامٌ بِهِجَتِي
وَأَفْتَتَحَ بِهِ مَوَاقِيتَ غَبَطَتِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ
يَصِلَهُ بِالْذُّوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضًا : وَصَلَ كِتَابُهُ أَيْدِي اللَّهِ بِضَحْكَ
عَنْ أَخْلَاقِهِ الْأَرَجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيَخْبِرُ عَنْ طَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
شَمْلَ الْحَرِيَةِ بِهِ مَنَظْمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِنَاؤِهِ فِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
أَسْبَابَ السَّرُورِ تَمَهِّدًا . وَقُلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتُهُ الْأَرْضَةَ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْضَرُ مَأْمُونٌ الْمَغِيبُ
مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
أَبْلَهٌ غَيْرُ لَبِيبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأدب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفحمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ يروى حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نغته الكفٌ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
 دبٌ فيهنّ ديبٌ كان من شرّ الأدب
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبب
 ويل هاتيك المعاني من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصِيب
 بدّل الإصلاحُ منه - من بافسادٍ عجيب
 فنجومُ العلمِ والفهمِ - تهاوت للغروب
 كلُّ شيءٍ سوفَ يفتى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديعٍ ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبي هفّان قال سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيّق من محبرةٍ وجسمى أدق من مسطرةٍ ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخنى من شق القلم ويدي أضعف من قصبته وطعاعى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الحبر وسوء الحال أزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ ببلاء فحسبك .
 وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنْهَلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْمَنَاهِلِ تَضُمُّ رِىَّ الصَّفْرِ الذَّوَابِلِ
مَرَكِبُهَا ذَوَائِبُ الْإِنَامِلِ إِذَا مَشَتْ عَالِيَةَ الْإِسَافِلِ
بَكَتْ عَلَى الطَّرْسِ بِدَمْعِ هَامِلِ فَارْتَبَطَتْ شَوَارِدُ الْمَسَائِلِ
وَكَشَفَتْ عَنْ غُرْرِ الدَّلَائِلِ بِيضَاءِ تَبْدُو فِي لِبَاسِ الثَّائِلِ
لَكِنِّهَا تَلْبِسُهُ مِنْ دَاخِلِ

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لَا أَحَبُّ الدَّوَاةَ تَحْشَى يَرَاعًا هِيَ عِنْدِي مِنَ الدَّوَى مَعِيهِ
قَلَمٌ وَاحِدٌ وَجُودَةٌ خَطٌ فَإِذَا زِدْتَ فَاسْتَزِدْ أَنْبُوهُ
هَذِهِ قَعْدَةُ الشَّجَاعِ عَلَيْهَا أَبَدًا سِيرُهُ وَتِلْكَ جَنْبِيهِ
وَمِنَ الْبَدِيعِ الظَّرِيفِ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

كَأَنَّمَا النِّقْسُ إِذَا اسْتَمَدَهُ غَالِيَةً مَذْذُوقَةً بِنَسَدِهِ
وَنَتْنُ الْكَرْسَفِ (٢) مِمَّا يُعَابُ بِهِ . وَمِنَ الْبَدِيعِ الْمَشْهُورِ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو
أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ (٣) :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغَرَابِ وَأَقْلَامٌ كَمَرْهَفَةِ الْخَرَابِ
وَقَرطَاسٌ كَرَقَرَاكِ السَّرَابِ وَالْفَافِظُ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ
وَقُلْتُ : أَوْ كَثُرَ مَا تُثَبِّتُهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَسْعَ فِي زَوَالِهِ الْأَيَّامُ
يَا لَكَ مِنْ خُرْسٍ لَهَا كَلَامُ مَوْقَى إِلَيْهَا النِّقْصُ وَالْإِبْرَامُ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق : ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل طك كشاجم ولكنهم لم يشتهر . كان من شعراء عبد الله به حمدان والد سيف الدولة .
(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .
(٣) كان معاصراً لأبي تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لمات رثاه البحترى .

قِوَامٌ مَجْدٌ مَالُهُ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٌ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغَرُ شُؤْنُهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعَذَارَى وَسَوَادُ الدَّوِيِّ عِطْرُ الرِّجَالِ
وَقُلْتُ فِي سَكِينٍ :

أَنْجَازٌ وَعْدُكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءُ فَضْلِكَ فِيهَا غَيْرُ مَجْجُودٍ
أَحْسَنُ بِهِ أَزْرَقًا فِي أَبْيَضٍ يَقْقِي لَهَا مَنَاطِقَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ
خَلْفُ الْوَعِيدِ حَمِيدٌ لَا يَذْمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفَ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودٍ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به
لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وإبرامه نقض تستغيث
الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان
حشثته بالانامل قطف فالفاظي في سنيه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد
صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عسره وأقول لعله يصلح
بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناوأة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعثاراً .
ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو
ما يخطئه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يَوَاصِلُ مُحْوَةً بِرُضَائِهِ
فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَا يَهْتَدِي لِصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
ابن سابق قال رأى المأمون في بدجارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أَرَأَيْتَ مَنْحَتَ الْوَدِّ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْحَبَةِ مُنْصَفُ
وَزَادَتْ لَدَيَّ حَظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضَتْ وَفِي أَصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصَمُّ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحَرِّكٌ يَنَالُ جَسِمَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتبَ الصاحبُ أبو القسمِ في وصفِ كتابٍ : ومن هذا الذى لا يحبُّ أن يواصل
علمَ الفضلِ وواسطةَ الدهرِ وقرارةَ الأدبِ والعلمِ ومجمعَ الدرايةِ والفهمِ أم من لا يرغب
في مكاثرةٍ من ينتسبُ الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضحُ بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه مُفارتحتُ لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامه أقبلتُ الفكرةُ تسكاثراً والذُررُ تتناثرُ والغُررُ تترامُ
والنُكْتُ تنزاحمُ فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أتتْ أختها تنافسُ وأقبلتْ لدتها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومةِ ونفضتُ يدي من غبار الخصومةِ وأخذتُ
أقول كلُّ كنٍّ صوادرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسلمن ونواقده عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحن وقد وليتُ النظرَ بينها من كملٍ لنسجِ برودها ووفى بنظمِ عُقُودِها .
ومثل ما تقدّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمحُ بينها طبعٌ وتناولتُ
قلماً كالابنِ العاقِ بل العدوِ المشاقِ فإذا أدركته استطال وإذا قومته مال وإذا حشنتُ
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشقِ مضطرب الشقِ مُتفاوتُ البرى معدوم
الجرى مُحرفُ القَطْمِ مشبجُ الخطِ ثم رأيتُ العدوَّ عنده ضرباً من الانقياد لأمره
والانخراط فى سلكه فجهدته على رغبته وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاجِ بادية على صفحات الحروف لا تخفى وعادية المحك لأئمة على وجوه تتجلى .
وكتبتُ فى وصفِ كتابٍ : والله أعلم أنى أخبرتُ بورود كتابه فاستغفرتُ
الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبل مشاهدته فما أدري أسمعتُ بورود كتاب
أم ظفرتُ برجوع شبابٍ ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طویل
عريض فتأملته فلم أدرك ما تأملتُ أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
شيئاً منشوراً ولم أدرك ما أبصرتُ فى أثناءه أبيات شعرٍ أم عُقُودٌ دُرٌّ ولم أدرك
ما حملته أغيثٌ حل بواد ظلمان أم غوثٌ سبق إلى لهفان .

وكتب الصاحب : ووصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة فى مطالعه وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وصرحت الطرف منه فى رياض رقت حواشيها وحلل تائق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أخط سطرأ الا إلى أحسن منه نظما ونثرا .

ورفع رجل^١ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتد فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبُولَ عنذك فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقاً فى اعتذارك لساعدتك حركة يديك أو ما علمت أن حسن الخط يُناضل عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .

وقال على رضى الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء ملى علماً وظرف^٢ حشى ظرفاً^(١) وإناء شجن مزاحاً^(٢) جداً ان شئت كان أبين من سحبان وائل وان شئت كان أعيان باقل وان شئت ضحكت من نواذره وان شئت شجعتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر ويناسك فاتك وبناطق أخرس وبيارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومى هندي وفارسى يوناني وبقديم مولد وبميت مُتمتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخ والنقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيهِ فوجده ينظر فى كتاب فقال يا بنى ما فى كتابك ؟ قال بعض ما يشحد الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقنى ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظل مفكراً فى قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الایجاز وترك الفضول . وليس يصلحُ الایجاز في
كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمينُ
عليكم بالایجاز فان للایجاز افهاماً وللاطالة استنباهاً . أى عليكم بالایجاز فيما كان
الایجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للایجاز موقعٌ
يحمّد ولا حالٌ تعتمد . والایجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطبِ
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الایجاز فيه عيباً ولا أعرفه الا بلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . والذي لا بدّ له منه حسنُ المعروض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنّه ليلٌ يصيحُ بجانيه نهارُ
وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأنّ سهولة اللفظ وحسنَ البديهة يدلان على جودة القريحة
والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعمق ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلاوته وروقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الایجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتساز الفرصة وحسن الاشارة .
وقيل لا آخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام .
وقال الحسنُ بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صيفي أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوهٍ فمنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من هذه الأحوال فالوحي فيها والاشارة إلى المعنى أبلغُ والايجازُ البلاغة . وتأويل هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قولٌ يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علمٌ كثير في قول يسير . وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويحلى على مفراك ولا تستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة . وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قولٌ مفقهُ في لطف . وقال عليٌّ رضي الله عنه : البلاغة إيضاحُ الملتبسات وكشف عوار الجملات بأحسن ما يمكن من العبارات . ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاحُ عن حكمة مستغلة وابانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف بنادى على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لتصحيحه حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعارض ليخفى موضع

الاساءة ويغض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر ببيغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومُ الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - كتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خلل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغةً بلغةٍ من اللغات ثم انتقل إلى لغةٍ أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، ويدل ذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولَدُكَ مِنْ دَمِي عَقَبِيكَ » ^(١) وقول الفرس « هرك نَزَاد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كَشَنَد مِيد » مثل قول العربي « مَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ » سواءٌ في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أَصِيد بَرَكَةَ خورده » ^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول »

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فبنته كبشة فعربده عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابتها أمه بهذا المثل .
(٢) لعله « أُمِيد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سأله عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك
 فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حُرُوفُهُ بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في
 معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خيرٌ لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد
 وهو قولهم « به شاه آشناء نرود همدوره » والعربُ تقولُ «جاور بجرّاً أو ملكاً» .
 وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيلُ فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة
 تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخولُ استكشف
 النقص ، بحثُ على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور :
 الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّما رَفَعَهَا
 وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول على رضى الله عنه :
 السفرُ ميزان القوم . وقول الآخر : العروضُ ميزان الشعر وقال الآخر منهم :
 أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخرُ منهم : الصوابُ
 قرينُ الثبوت والخطأ شريكُ العجلة . وقال بزرجمهر : طاملوا أحرار الناس بمحض
 المودة وطاملوا العامة بالرغبة والرغبة وسوسو السفلة بالخافة والهيبة . وقريبٌ
 من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أظف .
 وقال بعضهم : ينبغى للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسداقة أحرارها ويقمع طغيان
 سفلتها فانما بصولُ الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعضُ حكماء الفرس :
 أحزم الموك من غالب جده هزله وقرر رأيه هواه وعبر عن ضيقه فعله ولم يخذعه
 رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيدته . وقال أنوشروان : القصدُ غاية المنافع ،
 وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في السكثرة ولا لعمل الاثم غاية
 في القلة . ووافق هذا من العربى قول الافوه الأودى :

والخيرُ تزدادُ منه ما لقيت به والشرُّ يكفيك منه قلما زادُ

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشدُّ من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تنفُسُوا قليلا فتنفصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذا مرؤ

منكم سيفه حتى يشد عقله . وأظن المتأني ألم بهذا فقال :
 الرأي قبل شجاعة الشجمان هو أول وهى المحل الثاني
 وقال لكتابه : اذا فكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفصول
 فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة في المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربي : مارأيت بليغاً إلا رأيت له في المعاني اطالة وفي الالفاظ
 تقصيراً . يحث على الاجاز . وقال له اذا أمرت فاحكم واذا كتبت فأوضح واذا
 ملكت فأسجع واذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشى ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع
 وقال ازديشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذلت نفسه وغلب عليه الحسد ومن غلب عليه
 الحسد لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئنى لم يخل قلبه من الأئى .
 وقال بعضهم : الحقوق أربعة حق لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 واكرام أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعهدها بما يصاحبها ويصحها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحق الناس وقضاؤه معمولهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحق السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفى عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدو وعمارة بلد وسد ثغري . وقال بزرجهر : لا ينبغي للماقل أن
 يجزع من حط السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحجة يسير واقارره بها عسير .
 وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمضى فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنقيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :
الصَّغَرُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جُلَّةَ مُحْسِنُ الْهَزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّه
لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّني جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا عَـلِمُ
وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقلتُ : أو أصِلْ أَلْهَمَ فِي ضَيْقِي وَفِي سَعَةٍ كَأَنَّ يَدَيْنِي وَبَيْنَ أَلْهَمٍ أَرْحَامَا
إن إمرأاً عظمت في الناس همته رأى السرورَ جوى والوفورَ أعداما
وقلت : وأكثُرُ حالاتِ الزمانِ يغمى وليس نعمُ العارفينَ مفرجُ
وروى الحسنُ البصريُّ حزينا فقليل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .
وقال بعض أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أى السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : إن المتزوجين مثل السمك الذى يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجا يبنى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وباسبق البريد خبره؟ قال عرفت ذلك يوم ولد . فمجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصاة وجعلتك قوام دينها ومفرزها فيما ينوبها . وقال بعضهم حب المال وتدابيلها . وقال سقراط اللذة خناق من عسل .

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الوبيح لي قد ضاع مسنٌ عقلي . وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي . وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قرت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء . ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين : التبذير للآل ذمة كحب التقير فاجتنب التقير وإياك والتبذير . وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل . ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر .

ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما ان يزالُ يبغداد يزاحنا على البراذين أمثال البراذين
وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم اثماً دميماً :

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السَّطيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذُمَّ دهرًا يفيضُ أنعمه على اللثيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرة وأنته فوق مُتونِ السوابجِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمنًا ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين لاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون . وقال بعضُ حكمائهم لتكبر : وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة . وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه : أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرع في جنائك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .
وقال أرسطاطاليس : انك إن لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - يخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثنان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجة إلى المودة والمودة مُستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحب مُناسب . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأمل أو كاد . وقولهم العفو زكاة الجاه . وقولهم راجى البخيل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مآلف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قریش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن الخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعتك اليها والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلى . وقولهم لا ينفعك من جارسوء توق . وقولهم سرك من دمك . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا رتياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز الملبح ما روى أن بنى أمية
وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ما عسى أن يقول خطيبهم فقام
رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرف وحققنا ما لا تنكر وجئناك من
بعد ومنت من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحن أهل ، فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قويم . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشي فطواه الدهر عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ
الْعَيْرَةِ) وقالوا الفكرة منح العمل . وقيل الشيب خطام المنية . وقالوا
المذاكرة حياة العلم . وقيل الخول دفن الحى . وقلت السخاء سلم المجد .
وقلت المراء ينقض مر المودة والتوانى يثمر الندامة والكسل ينتج الفقر .
وقيل البياض علم الجمال . وقلت الحياء عنوان الكرم . وقلت العتاب مقدمة
السخط . وقال ابن المعتز المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة ، وقلت
العين رائد القلب . وقلت الدل رسل الدين والشكر ضامن المزيد والغنى
مظنة البطر . وقال آخر للحظ طرف الضمير . وقلت الشكر مرتبط النعم . وقال
آخر من جرى في عنان أمه عشر بأجله . وقال الأعمال ثمار النيات . وقيل
التواضع سلم الشرف . وقلت المال عدو الوفاء . وقيل التجنى رسول القطيعة .
وقال الاحنف الأدب معززة العز . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود .
وقال نرفع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها ما لا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيْشَةُ تَقْرِمُ جِدًا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقرابٍ أكيَسُ ^(٢) . وعزى اعرابيُّ رجلاً فقال لأراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيبُ بن شيبَةَ ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زُرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف مَن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغةُ البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فقتل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حاتمهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقيون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ماوراء الذي لا تنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادُّ الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجله فقصع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى

الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيَس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر
عنك . وقال أعرابي لمعاوية هزرت ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد مُعوَّلاً إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهر بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفس مستبظَّة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيت أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يارب عندي لك حقوقٌ فيها لي وللناس عندي حقوقٌ فتحملها عني ولي عندهم
حقوقٌ فقيضها لي وأناضيفك اليوم فاجعل قرأى الجنة . وذكر بعضهم رجلاً
فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليل ولا يُسخطه الكثير .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التمجيدُ ومن عادة العارفين أن ينتدثوا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يُقدمونه أمام طلابها كما بُدئ بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمد بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديهِ عن الإحصاء وجلَّت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذي البلاء الجليل والعطاء الجزيل الذي جعل للأُمير سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل له مُحسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادبالة حمداً
يؤدِّي الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ في زيادة الأُمير
والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدوِّه بمنِّه ولطفه . فأخذ ابن دُرَيْد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيدى اليه في التوفيق لما يُدنى من رضاه
ويجيز من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابي : الحمد لله
ذو المنن والطَّوَل والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل
ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومُذيله ^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته والحق عُقوبَتَهُ بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حربه حتى يظفر
 ويخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعيبه
 ألمعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الانتقال الغنى المغتفر
 اليه القوئى المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُؤازر ومضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلّمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للاختيار فمادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتثبت أغصانها وتهدأت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهد أطافها فكانها في أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيا منّا مصقولةً أطرافها بك واليالي كلها أسحارُ

بما منح من حُسن رأيك أطل الله في كنف السلامة بقاءك وحجب عن
 عيون الغير نعماءك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبدعها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمته
 كما قاد إليك الفضل بأزمته ولازال بك الزمان جديد الحُلتين مُطرز الطرتين
 مُتوّج المفرق بما ترك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولا نزع
 عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيت جمال الدهر فيك مُجدداً فكن باقياً حتى ترى الدهر فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما أوزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطوّل به من البرّ وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعى المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قيص لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرمة البكر

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذى جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

(ومن جيد الأدعية)

ما كتب الصاحب أبو القسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجليل العادة مُؤدنة بظاهر العز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه سنادنى
الفتيان قد اتقنى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالى أباه وجده وجمل
سيدنا أخذنا من كل ماعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابى الى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفى أيامه كلها
معافى سالمًا فائزًا غانمًا مسرورًا محبوبًا محروسًا موفورًا محتومًا له يلوغ الآمال
مطروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محمى الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلامه تذب عن ودائع مننه عندك وزاد فى
نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبى نواس :
دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا
وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخر بأفك الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزيد وراها . وقريب منه قول البخترى :

(١) فى الأصل (عنه) . (٢) فى الأصل (على) .

عمرت أبا السحق ماصح العمر ولا زال معموراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمورة بمرك ياخير ثمّارها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :
من يسأل الله أن يبق سراتكم فإمّاراً أن يستبقى السكرا
وقول المتنبي :

أعيدكم من صروف دهركم فإنه بالكرام . منهم
قلت : فلا زالت الأقدار دون محاكم سواقط والمكروه عندكم^(١) مقصراً
وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل مخدور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة واليالي على هواك مُساعفة تتلقاك
بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس
عنك بالمخدور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل
والقضاء^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتني العيلة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدقاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما خلّته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له
ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ويُتممه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرّة نقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود
الأعوام حتى يكون كما يوم منها موفياً على ما قبله مقصراً عما^(٣) بعده .
وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح
لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .
وكتب إلى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافداً السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القضاء : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنأك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجمل
الدولة بيقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن
في ارتحال وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محبته .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى على بن عيسى : وهنأ الله الوزير
مأناه وجعله أيمناً أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفتحاً وأسلمه
مالاً وعاقبةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً ^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير ^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمته
في حال كونها ونعمته ترجى مستقبله ونعمته تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

﴿ المديح ﴾

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وإدراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهيد في السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة إليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) عند مؤمليه لسكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيى اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب صاحب : وايس ببدع أن يجود كلامه وتمتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان مُدَّ الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكأثر مُكاثرة الآحاد وإن جورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جديلاً المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت إليه اختياراً من مواليه واضطراً من مُعاده .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلً ونجبر ماعتل وتكثر ماقل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من وُلاته واجتهاد مجتهد من كفايته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدييره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزُّه ويُزِيدُ فى تأييده .

(١) فى الأصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿فاما الذم والتهجين﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلاً : يقطع نهاره بالملئى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إديار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلاً : نزلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندم وارحل بدم . وقال أعرابي : أولئك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلباُسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُدنس شعرك بعرض فلان فإنه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشققت على شعري

واستشارت امرأةً امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فإنه وكلةٌ تكلةٌ يأكل خله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكل فى الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء فى تكلة واو كما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس فى اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يُشيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طعمه وشربه يُشيرها يطلبُ تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً لقد حدثت نفسك بالهال

﴿ فى الشكر ^(١) ﴾

وكتب ابن المعتز فى الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود فى النسخ .

عن عجزى بعد جهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورافته ، وهذا من قول
طريح بن اسمعيل : فقصرت مغلوباً وإني لساكر * وكتب آخر : إذا كان
مجهودى فى شكر النعمة واعترا فى بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين
وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى
نفسى فقد أسقط الله تكلف ما جاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبى نجى
ذ كرك ولسانى خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
أنقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمسكافة من أخدمك عرّضه
فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان فى رجائك وتأملك ولسانه
فكان فى ذكرك محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبِ واغتدى يتعلمُ الآدابَ حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ من حرٍّ ماحاك الضميرُ ونظما
مُشاغلاً عما يُمارسُ غيره حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
نقّةً برعى الأكرمين ذِمَامَهُ لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُجرّما

وكتبت : وتأملتُ التوقيع فى معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنهت عن
ساحتى مُخطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعمُ فى إداء شكرها بل عسى
أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بمحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضة
والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
حافية لا عيب فيها الا قدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
ثوبان : وأنا أسأل الله إذا من بعملة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصل : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجري إلى غاية في البرّ والعقوق .
وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والخبار
بما وهب الله للإمام والأمة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لأني جهلتُ
الحق على لك ولا لأني ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاطى
منه كالخبر عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبه على الأمر الواضح
الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت
الخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ في هذا الباب إلى هنا لعلنا أنا أن أردنا استيعابَهُ
لم نقدر عليه لكثرة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمةٍ وجان وطائر يمسح صفحات
التراب ويأخذ باهاب السحاب وحش ينطوى على أدرجه ويستوى مرة في اعوجاجه
إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُخْتَلِفَةٍ وأجرام متباينة حقيرها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ
وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق
تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأنا أحجى بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضته
ولاحاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ
من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي دواد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فرأيا وأما أرضه فمحلول

سماؤه : أطاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *
وأحسن ما قيل في اصطفااف الخيل قول الاسعر ^(١) :

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور ألقى فاصطلى ^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فإنه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لا تسبق إحداها الأخرى .

أى كلمن ^١ يُبادِرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة فقال رحمه الله :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَثْنَاءِ غَمَرَتِهَا أَرْسَالُ قَطْرِ تَهَا مَى فَوْقَ أَرْسَالِ
يَخْرُجْنَ مِنْ غَمَرَاتِ النَّقْعِ سَامِيَةً نَشْرُ الْأُنَامِلِ مِنْ ذَى الْقِرَّةِ الصَّالِ
وَالْأَوَّلِ أَجُودَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ * مُسْتَوِيَاتُ كَضُلُوعِ الْجَنْبِ *
وَفِي وَصْفٍ وَقَعَ قَوَائِمُهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِي :

وَتَهْدَى بِي الْخَيْلُ الْمَغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا صَبَرْتَ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
وَمَنْ أَحْسَنَ الْاسْتِعَارَةَ قَوْلُهُ :

وَأَنْ عَثَرَتْ أَحَدَى يَدَيْهِ بِشَبْرَةٍ ^(١) تَجَابُوبَ أَثْنَاءِ الثَّلَاثِ بَدَعْدَا
وَكَانَ الْإِحْسَنُ أَنْ لَا يَصِفُهَا بِالْعَثَارِ إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ * تَجَابُوبَ أَثْنَاءِ الثَّلَاثِ بَدَعْدَا *
مُسْتَعَارٌ حَسَنٌ يَعْنِي عَلَى إِسَاءَتِهِ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِالْعَثَارِ ، وَدَعْدَعٌ مِثْلُ قَوْلِهِمْ «لَمَّا» وَهُوَ دَعَاءُ
لِلْعَاثِرِ بِالْحَيَاةِ . وَأَهْدَى بَعْضُهُمْ شَهْرِيًّا ^(٢) وَكُتِبَ : بَعَثْتُ بِشَهْرَى حَسَنَ الْمَجْمُوعَيْنِ
الْمَوْضُوعِ وَطَى الْمَرْفُوعِ هُمَا أَمَامُهُ وَسُوطُهُ لِحَائِمُهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :
وَحَيْلٌ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَأَنَّهَا أَنَايِيبُ سَمَرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ زَبَلٌ
صَبِينَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
فَدَكْرَانِهِمْ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ مَطْلُوبِ سِيرِهَا فَكَانُوا ظَالِمِينَ
أَيَّهَا . وَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا * أَضْيَعُ شَيْءٍ سُوطُهُ إِذَا تَرَكَبَهُ *
وَقَالُوا أَحْسَنَ يَدٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ جَرِيرَ :

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطُونَهَا طَى التَّجَارِ بِمَحْضَرِ مَوْتِ بُرُودَا
وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ الْقَوْلَ فِي سُرْعَةِ الْفَرَسِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَايَةُ مَجْدٍ رُفَعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَوِينَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تَرَسَلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

(١) الثبيرة : الكوم من التراب . (٢) الشهرية بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثل البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يمسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * ردىء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبيدة بن الطيب في الثور :
يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانية في أربع مَسَّهنَّ الأرضَ تحليلُ
يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الخائف يمينه بالتحلة لا تراخي بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يطالبه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأننا يرفعن مالا يُوضع * ومن عجيب ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة الرُشح . ويستحبُّ في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في ذلك قول علي بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ في استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبَّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرتُ قلتَ لانتليلِها أو أقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طُرف إذا استقبلته قلتَ حبا حتى إذا استدبرته قلتَ كبا

ذو أربع يلقي الصفا بمنلها وللحصى من خلفها وثب دبا

إذا ترامينَ به في سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حرزٌ

وُبطونُها كَنْزٌ » وقال الأشعرُ الجمعي في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقِّي الردى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ما وصف به مُحَضَّرٌ^(١) الفرس قول الاعرابي في فرسه
 « يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
 على هيكَل يعطيك قبلَ سُؤالِهِ أفانينَ جرى غيرَ كزٍّ ولا وان
 قوله « قبل سُؤالِهِ » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جرى » أعجب وأبلغ .
 وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :
 وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكَل
 فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .
 وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
 اذا ما ولدنا قالَ ولدانُ أهْلنا تعالوا الى أن يأتى الصيد نخطبُ
 وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :
 وأرى الوحشَ في يميني اذا ما كانَ يوماً عِنانُهُ في شمالي
 ونقله الشماخ بن ضرار^(٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :
 قليلُ التلادِ غيرِ قوسٍ وأسهم كانَ الذى يرمى من الوحش نازرُ
 أى جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :
 بأكلبٍ تمرحُ في قاداتها تُعدُّ غيرَ الوحشِ فى أقواتها
 وهو من قول أبى النجم * تعد غابات اللوى من مالها * وقوله :
 يردى على حوافِرٍ لاتخذُهُ صم الشوى يحملها وتحمله
 حافٍ وما يحفى وماتنعلهُ نار عجاج مستطيل قسطله
 تنقش منه الخيل مالا تعزله فى جنبه الطائر ديث عجله
 كأنَّ تُربَ التاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رقه شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازنى ، من المحضرين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْخَلَقَ مِنْهُ يَنْشَقُّ عَنْهُ سَمْلُهُ تَرَى الْغَلَامَ سَاجِياً لَا يَرُكَلُهُ
يُعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَيْلَ وَنَحْنُ نَشْكُلُهُ
وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَيْلِ سَعَةَ الْمَنْخَرَيْنِ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاحِمِ بْنِ
طُفَيْلِ الْعُقَيْلِيِّ * مِنْ مَنْخَرٍ كَوْجَارِ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ * فَجَعَلَهُ خَرْباً لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلْءُ الْحَزَامَيْنِ وَمِلْءُ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرَّبِّ مَنْخَرَيْنِ
كَنَفَشِ كَبِيرَيْنِ بِكَفَيِّ قَيْنِ
وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضاً
كَأَنَّ هَادِيَهُ جَذَعَ عَلَى شَرَفٍ * فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذْعاً حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
كَصَنِيعِ الْخُنُصَاءِ فِي قَوْلِهَا * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَقُلْتُ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجٍ وَمَزْرُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْشِمَارِ
يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَعَانَ بَرَقَ وَسَائِرُ جَسَمِهِ لِمَعَانَ قَارَ
فِي شَبِهِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلاً وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوٍّ وَيُدْرِحُ حِينَ يُدْرِحُ فِي انْحِدَارِ
وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْفَعْدَنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالْمَسْدِ الْمَغَارِ
يُلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عَذَارِ
وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَ فَقَالَ :
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبُ الْجَبِينِ
لَا يَسْمَى لَطْماً وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ اللَّطْمُ لَا الْخَوْصُ
فِي الْإِحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْفَرَةِ وَالتَّحْجِيلِ :
كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاعِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَاجِمٍ :

قد راحَ تحتَ الصُّبحِ ليلٌ مُظلمٌ لو راحَ في السَّرجِ المحلى الأدم
 ضحكُ اللجينِ على سودِ أديمه وكذا الظلامُ تنيرُ فيه الأنجمُ
 فكأنهُ بنباتِ نَعشٍ مُملبٌ وكأنما هو بالثريا مُلجمُ
 وقلت: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهم يهوى لطيفه مُهوى الأعقب
 ذاوى العسبِ قصيرهُ ضافى السيبِ طويلهُ صافى الأديمِ محب
 كالنورِ بينَ العشبِ يمهَرُ حسنهُ بينَ الجيادِ إذا بدا في موكب
 وتطيرُ أربعهُ بهِ في أبطح فكأنه من طولها في مرقب
 صم الحوافرِ شربِ صم الصفا منها الإلهةُ في الصفا والصلب
 وكأنَّ غرتهُ نفَضُ وجهه والنقعُ يذهبُه وإن لم يُذهب
 وكأنَّ في أكفاله وتليله غسقُ النجومِ فتستطيلُ وترتي
 وكأنما الارساغُ ماءً لم يسَل والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
 لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب إلا يفوزُ فلم يخب في مطلب
 والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تُأسيرةٌ في شدةِ المثلث
 وكأنما يحوى مدارُ حزامه احناءً يتي بالعراءِ مطنب
 وأول من شبه الحافرَ بالحجارة الأَفوه في قوله * يرمى الجلاميدُ بأمثالها *
 ثم قال رؤبة * يرمى الجلاميدُ بجلودِ مدق * وأبلغ ما وصف به شدةُ
 قوائمِ الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الأشناداني عن جرهمي :
 سِيانَ تحت طموه وطموه أكم الفلا ومقابل الولدان
 يطأُ الخبارُ فلا يطيرُ غبارهُ ويرضُ حافرهُ حصي الحزان
 يقول سواء غلبه إذا طما في سيره أي ارتفع وإذا طمر أي وثب ، الأكم
 وهي المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهي ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبؤا خبيثاً فن أخرجه
 فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهي الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر : شادخة تشدخ من أدلالها .
يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذي لاشبيهه قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل
ومحجّل غر اليمين كأنه متبخترٌ يمشى بكمٍ مُسبّل
وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأولُهُ في منعه الخطو آخره
وقد قطعت من لونها الشمس غرّة له وحجولاً ثم كالظل سائرهُ
وقال ابن المعتز :

تمت له غرّة كالشمس مُشرقةً يكاد سائلها عن وجهه يكف
إذا تقرّط يوماً بالعذار غداً كأنه غادة في أذنها شنف
وقلت : إذا تحلى بالعذار ومشى قلت فتاة تتصدى لفتى
كأنه تحت الحلى روضةً درّ عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي دؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتلّ عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق
كأنّ إذا حاليت حوزةً متنه تعلق برى عند بيض أنوق
وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ، فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .
وقلت : مضطرمّ الندو والرواح تخاله يمشى على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العسدي عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل
من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقعد بين يديه فقال ماهذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نفس وان حر كته طار . فقال صفته خير منه .
وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبهه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ما جاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتي طرفه لاحق بالمهاديات (١) طمر

طوى الشحم على متنيه مثل ما يطوى القباطى تجر
فهو نار والتراب دخان مستطير وحصى الأرض جمر

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق أحكمتهم المضامير

مكنفات بأذن نواصيها كما يشق عن الطلع الكوافير

تنزو كراتهم في كل معترك كما يطير من الذعر العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

في الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب بين لحبيه يذهب * ومن مليح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ملجمه يفتحان سفتا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذ الأرض بأيدي عجال

زينتها غرر ضاحكات كبسور في وجوه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب بيض دون صافيه الى التعريض

وقال الهامى الراجز :

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلِبًا بَيْضًا صَفَرًا يَنْتَهَشْنَ الْمُنْقَبَا
وَتَبِعَهُ الْحَمَامِيُّ فَقَالَ :

وَلَيْلٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغَرَابِ عَيٌّْ مُذَاهِبٌ وَخَفِيٌّ بَابٌ
دَلَفْتُ لَهُ بِأَسْوَدَ مُسْتَمِرٍّ كَمَا نَظَرَ الْغَضَابُ إِلَى الْغَضَابِ
أَجَشُّ كَأَنَّمَا قَابَلْتُ مِنْهُ تَبَعُوقَ الْجُبَّةِ وَحَرِيقَ غَابِ
تَرَاهُ كَأَن عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ إِذَا وَصَلَ الْوُثَابُ إِلَى الْوُثَابِ
كَأَنَّ لَدَيَّ مَغَابِنَهُ التَّمَاعَا سَهَادَسَ عِنْدَهُ يُبْقِعُ السَّكَلَابِ
وَلَيْسَ نَظْمُ هَذَا الْبَيْتِ بِمُخْتَارٍ ، وَذَكَرَ قَوَائِمُهُ ثُمَّ قَالَ :

يُخَالِسُ بَيْنَهَا رَفْعًا وَوَضْعًا كَمَا خَفَقَتْ بِنَائِكَ بِالْحِسَابِ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْحَصَى الَّذِي يَتَرَامَى بِسَنَبِكَ الْفَرَسُ إِذَا جَرَى قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ ^(١) رَجُلَهَا خَذَفَ أَعْمَرَا
وَجَعَلَهَا أَعْمَرَ لَهَا بَعْدَ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ ، أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ وَغَيْرَ لَفْظِهِ وَأَتَى بِمَعْنَاهُ :
يَقْذِفُ بِالرَّجُلِ حَصَى الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ رَامٍ بِسِلَاحٍ تَحْقِيقِ
وَقَالَ : يَنْفِي خَفَافَ الْحَصَى وَالنَّقَمَ مُنْتَشِرًا كَأَنَّهَُا خَلْفَ رَجُلَيْهِ الزَّنَائِيرِ
وَقَدْ أَجَادَ الْكَمِيتُ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنَّ حَصَى الْمَعْزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا نَوَى الرِّضْخَ يَلْقَى الْمَصْعَدَ الْمُتَصَوِّبَ
فَجَعَلَهَا لِكَثْرَتِهَا تَتَلَاقَى فِي الْهَوَا وَزَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَعْرُوقِ وَمِنْهُ أَخَذَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :
كَأَنَّ حَصَى الْمَعْزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا بَوَادَى نَوَى رِضَاخَةٍ لَمْ تَدْفُقْ
وَقَدْ أَجَادَ الرَّاجِزُ فِي قَوْلِهِ * يَرْضِخُ مَا يَرْضِخُ مَا لَا يَرْضِخُ ^(٢) * يَقُولُ إِذَا
وَطَأَ الْحَصَى نَبَتٌ مِنْ تَحْتِ سَنَبِكَ فَأَصَابَ مَا لَمْ يَطَأْ فَدَفَعَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَكَأَنَّ رِضْخَهُ
أَيَّ رِجْلِهِ وَالرِّضْخُ الرِّمْحُ . وَيُسَبَّحُ الْخَافِرُ بِالْقَعْبِ فَمَنْ قَدِّمَ الشَّعْرَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ
الْقَيْسِ * لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ * أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :

(١) النَجَلُ : الرَّمِي كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ . (٢) فِي الْأَصْلِ (يَضْرُخُ) فِي مَوَاضِعٍ .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينفي الحصى بحافرٍ كالتمدح المسكوب
 قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعيرٍ وحلقٍ أحلقٍ
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافٍ حفرٍ » وقال إن الحوافر لا تحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك أنها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومه وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجىء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفِه فكأنها عذباتُ أنبلٍ مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكأن فارسه وراء قداله ردفٌ فليست تراه من قدومه
 لانت معاطفه فخيّل أنه للخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكأن صهْلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعقع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صبحه بسواد صبغته وحسن قوامه
 والظرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه وجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيمَ ممجَّلاً قد رُحْتُ منه على أغرِّ ممجَّلاً

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ، وفي الأصل (جلبابه) .

كلهيكل المبني إلا أنه
 ذنبٌ كما سحب الرداء يذبُّ عن
 جذلانٍ ينفضُ عنزةً في غرةٍ
 تنوهمُ الجوزاءُ في أرساغه
 وتراه يسطعُ في القبار لهيبه
 هزج الصهيل كأنَّ في نفثاته
 ملكَ العيون فان بدا أعطينه
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيتُه
 وقال ابن المعتز :

تحملى طرفة صادرةً واردةً
 ترضيك في يومها وهي غداً زائده
 ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيت الدين ديناً يؤفك وأمست القبة لا تستمسك
 تفتق من أعراضها ونهتك سرت من الباب فسارت دكرك
 منها اللجوجي ومنها الارمك كالليل إلا أنها تحرك

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله

* كالليل ألا إنها تحرك * استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه كمنقود كرم بين غصنين نوراً
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه عسيباً كميص الطود لما تحدرأ

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل^(١) بفتيانِ غررٍ على جِيادِ كَتَائِلِ الصورِ
 كأنما خيطوا عليها بالابِرِ أوسمّرَ الفارسِ فيها فانسمِرَ
 وباسنادٍ لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لِكاتبه أناثمُ
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ماطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما الذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أوكأسُ تماطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخلُ إليها
 والهأ وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لاعرابى أعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا اتضب
 اتلاّب ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرسانى واذا قلت أرسله قال أمسكنى .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاهر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلى .
 ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها خليقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصفية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجببات رحاب المناخر صلاب الجوافر وقمها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فانت

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض الباب والحجة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود الذكر والخافر والعين . وقال محمد بن مُنادر في وصف فرس :

وَإِذَا أَعْرَضَ قَطْرِيهِ لَنَا وَفِيَا وَاسْتَوْفِيَا قَدًّا بَقْدَ

فَهُوَ كَالْقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كَفَّ بَارِيهِ فَمَا فِيهِ أَوَدُ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب

نقى العصب ييوع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عِنا نُهُ سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً
أمعن وإن فقدته ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك ببرذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ أَمْسَى حَمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ لُجَامُ

كَمَثَلِ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلٌ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامُ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطراف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمْسِينُ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلُهُ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَكَلُّ
فَهْنٌ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَوْ كَانَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَكَانَ أَحْسَنَ وَذَلِكَ لِمَارَاوَا
مِنْ تَمَامِ حُسْنِهِ وَظَرِيفِ لَفْظِهِ . وَالْبَيْتُ الْآخِرُ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ هَاجِرَةٍ .

وَمِنْ مَلِيحِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيمِ :
وَقَدْ ضَمِرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضِينَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسٍ جَالَ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ
وَيُشْبِهُ الزَّمَامَ بِالْحِيَةِ فَمِنْ أَوَّلِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
يَعَالِجُ مِثْنَى حَضْرَمِي كَأَنَّهَ حَبَابُ نَقَا يَتْلُوهُ مَرْتَجِلٌ يَرْمِي
وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

رَجِيمَةٌ ^(٢) أَسْفَارُ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى يَسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مَطْرَقٌ
وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْإِعْنَاقِ مِنْهَا الْإِفَاعِيَا »
مِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ الْإِبِلِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِذَا مَا نَبِخَتْ قَابِلَتْ عَنْ ظَهْرِهَا حَرَا جِيجَ أَمْثَالِ الْإِهْلَةِ شَسَفَ
شَبَّهَهَا بِالْإِهْلَةِ لِضَمْرِهَا وَاحِدًا يَدَابُهَا . وَتُشَبَّهُ بِالْقَسِيِّ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ وَاجْمَعِهِ قَوْلُ أَبِي عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحْدَانِ الْقَلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بِلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضَّضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْسَمِ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْإَوْتَادِ
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النِّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَارِ الْفَلَا

(١) الْوَضِينَ كَالْحَزَامِ . (٢) أَيْ مَعَاوِدَةٍ . (٣) الشَّجَاعُ هُنَا : الْحِيَةُ .

(٤) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « وَحْدَانُ الْقَلَاصِ » .

(٥) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « بِالسَّرَابِ » .

خوص كأشباح الحنايا مُصمَّرٌ يَرْمَعُنْ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذَبِ الْبَرَى
يَرْمُسُنْ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَفِي الضُّحَى يَطْفُونُ فِي الْآلِ (١) إِذَا الْآلُ طَفَا
وَمِنْ غَرِيبٍ مَاقِيلٍ فِي عَيْنِ النَّاقَةِ قَوْلُ ذِي الرِّمَةِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهَا مِنْهَا وَقَدْ ضَمَرْتُ وَضَمُّهَا السَّيْرُ فِي بَعْضِ الْأَضْيِ مِمْ
فَشَبَّهَا بِالْمِمْ لِاسْتِدَارَتِهَا وَغُورِهَا ، وَالْأَضْيُ الْوَاحِدَةُ أَضَاةٌ وَهِيَ الْغَدِيرُ ، وَقَدْ
قَصَرَ بَذَى الرِّمَةِ عَلَيْهِ بِالْكِتَابَةِ . أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ الصُّوْلِيِّ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدَى قَالَ قَرَأَ حَمَادُ الرَّائِدِيُّ عَلَى ذِي الرِّمَةِ شِعْرَهُ
فَرَأَاهُ تَرَكَ فِي الْخَطِّ لَمَّا فَقَالَ لَهُ ذُو الرِّمَةِ أَكْتُبْ لَمَّا فَقَالَ حَمَادُ وَأَنْتَ لَتَكْتُبْ قَالَ
لَا أَكْتُبُ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْتِي بِأَدِيَّتِنَا خَطَاءً فَعَلَمْنَا الْحُرُوفَ تَخْطِيطًا فِي الرَّمْلِ فِي
الْيَسَالَى الْمَقْمَرَةِ فَاسْتَحْسَنَتْهَا فَتُبَّتْ فِي قَلْبِي وَلَمْ تَخْطُهَا يَدِي .

وَدَخَلَ أَبُو تَمَامٍ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي زِيٍّ أَعْرَابِيٍّ فَأَنْشَدَهُ :
دِمْنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةً صَبْرِهِ الْإِلَامُ
لَجَعَلِ الْمَأْمُونُ يَتَعَجَّبُ مِنْ غَرِيبٍ مَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَيَقُولُ لَيْسَ هَذَا
مِنْ مَعَانِي الْأَعْرَابِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

هُنَّ الْحَامُ فَانْ كَسَرْتَ عِيَاقَةً مِنْ حَائِنٍ فَانْ هَامُ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ اللَّهُ أَكْبَرُ كُنْتَ يَا هَذَا قَدْ خَلَطْتَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْذُ الْيَوْمِ
وَكُنْتَ حَسِبْتَكَ بِدَوِيٍّ ثُمَّ تَأَمَّلْتُ مَعَانِي شَعْرَكَ فَإِذَا هِيَ مَعَانِي الْخَضِرِيِّينَ وَإِذَا أَنْتَ
مِنْهُمْ فَقَصَرَ بِهِ ذَلِكَ عِنْدَهُ . وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي فِي وَصْفِ النَّاقَةِ :

وَلَقَدْ تَجَوَّبُ بِي الْفَلَاةُ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعُفْرُ (٢)
شَدَنِيَّةً (٣) رَعَتْ الْحِمَى فَأَنْتَ مَلءُ (٤) الْجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَالضُّحَى ، بِالْآلِ » . (٢) الْعُفْرُ : الْظَبَاءُ الَّتِي يَعْلُو

بِإِصْبَاحِهَا حَمْرَةً (٣) شَدَنٌ : مَوْضِعٌ بِالْمِمْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْإِبِلُ ، وَقِيلَ هُوَ اسْمُ فَحْلٍ .

(٤) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ « مِثْلُ الْجِبَالِ » وَلَعَلَّهُ تَصْغِيفٌ .

أخذه من قول عنثرة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدن لا قضي حاجة المتلوم
إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامدة ^(١) فتقول رنق فوقها نسر
أما إذا وضعته عارضة فتقول أسبل خلفها ^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد * قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي

دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسف أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادِم ملطم حر
وكانها مُصنع لتسمعه بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألحن يقصرن من نجب مُخلّسة ومن عرابٍ بعيدات من الحادي

أى يسبقن الحادي فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطى وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي أمام

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهم رمى بها هم إذا نام الورى سرى بها

فهي أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها

ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تأتي الغلاة بخف لا يقر لها كأن مسقطه في تربها طبق

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمتها :

كأننا عند نهضته رفعنا خباء فوق أطراف الرياح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامدة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأنَّ حجاجها وقبَّ أنافَ بشاهقٍ لم يُحَالِ
وكانَ مسقطها إذا ما عرَّست آثارَ مسقطٍ ساجدٍ مُتَبَلِّ
وكانَ آثارَ النسوع بدفها مسرى الأساودِ في دهاس أهيل
ويشدُّ حاديها بجبلٍ كامل كمسيب نخلٍ خوَّصه لم يُنْجَلِ

وقال أيضاً :

كانَ المطايا إذْ غَدَوْنَ بسحره تركنَ أفاحيصَ القطا في المبارك
ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفضاء كأنما حملنَ التلاع الجوّ فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :

مُخَوَّصٌ نواجِذُها إذا حثَّ الحداةُ بها حَسِبْتَ أَرْجَلُها قُدَّامَ أَيْدِيها
وذَكَرَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ أَنَّ قَائِلَ هَذَا الْبَيْتِ الْقَصَافِيَّ لَمْ يَقُلْ بَيْنَاجِيدًا
سِوَاهُ وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرُ سَتِينَ سَنَةً ، وَأَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :

تَخَالُ آخِرُهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلَهُ وَفِيهِ عَدْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ
وقد أحسن مسلم في قوله :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحَلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظَلَمَانِ
كَأَنَّ أَفْلَاتِنَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا أَفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حَبْشَانِ
وقال آخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَجْرِي ضَفُورُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ

ومن بليغ ما جاء في ذلك قول ابن المعتز :

زَجَرْتُ بِهَا سَبَاحَ قَفَرٍ كَأَنَّهُ يَخَافُ لِحَاقًا أَوْ يِيَادِرُ أَوْ لَا
تَوَارَتْهُ الْإِيحَافُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ ضَنْئِي أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَعْدَلَا

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهن بالقاء القرق أيدى العذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وايل يركب الركباً ن في أمواجه الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الريح في المهمة القفر
 شمائل يصاغن متون الصخر بالصخر
 باجاف يقد الليل عن ناصية الفجر
 وقلت : لنا هجمات تنثني سرواتها بأسنمة مثل الاكام سوامق
 خبطن الريح وانتسفن نباته كأمريت الاجلام فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعد نجى على آثار جون بوارق
 تدور بأحقيا البروق وتنثني كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضت ظلامه بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يعترف السير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعده ميعته تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

(١) كان عارفاً بالغة وحشيها ، وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها إذا ترامت يدها ورجلها
حسبتها غيرى استغفر عقلها أتى التى كانت تخاف بعلمها
أى كأنها من علمها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيرى تخاصم وتشير
بيديها لا تفتر . وقلت :

ومهمه ^(١) قلقت فيهار كائنا والليل في قلق تسرى ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه ومحبته فكان النجم جائيه
بكل ذى ميمة جد الوجيف ^(٢) به فانه غاربه وانضم حاله
وبت ينهب جنح الليل في عجل كأنه لاعب طابت ملاعبه
حتى بد الصبح مبيضاً ترائيه وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإعما النجح في ليل ترادفه إذا تأوب أوصبح يواكب
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذهب المال عند المجد كاسبه
وقال أبو تمام :

على كل رواد ^(٣) الملاط تهدمت عريكته العليا وانضم حاله
رعه الفيا في بعد ما كان حقبة رطاه وماء الروض ينهل ساكبه
قلت : واستنهضتكم الى المآثر والعلا هم نخال زهاوهم جبالا
أردفت مرهفة النصال نصالا أردفتهم عزاءاً فكانما
حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن ربالا
مهرية الرى السفاد بنحضا فتخالها تحت الرحال رحالا
وقال مسلم :

إليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيا في كل مرت وفد ^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعت مخطاها بها والنجم حيزان مهتدى

(١) المهمة : المفازة . (٢) . الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المفازة .

لبسن الدجى حتى نضت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسى عُثْنُونُهُ زبدًا فنصيلاًه الى نحره ^(١)

ثم يعمم الحجاج ^(٢) به كاعتمام النوف في عشره

ثم تذروه الرياح كما طار قطن الندف عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفجن اللغام الجعد ثم ضربته على كل خيشوم كريم الخطم ^(٣)

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدَّةً بعيد الشباب حاوأت ان تعذرا

من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعت فراس بن غم أولقيط بن يعمر

بها شرف من زعفران وعندبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفتى أو منصبي أن أعبرا

كأن بذفراها مناديل قارقت أ كف رجال يعصرون الصنوبرا

وقال الراجز : كأنها نائمة تُرجع تبكى بشجو وسواها الموجه

وهو نحو قول الراجز : حسبتها غيرى استفرغ عقلها * ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت حلائل من عفر

سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفرى باليد ين كما تفرى

فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد

زمان وتلك الشكوى في نفسها فيجعات تحدث وتحرك يديها في حديثها فلا تكاد

تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :

المظم المحيط بالعين . (٣) في ديوان أبي نواس (نبيل الخطم) ونفجن :

حركن ، واللغام : الزبد ، والخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتي إذا كان الصلاه بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضيائك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجأه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب
وقال ابن المعتز :

ولم نزل نخبط الفلاة بأخفاف المطايا والظل معتدل
كأننا طار تحتنا قرع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

تصغى الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الفصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامكاء الدر جاءت بمشعب كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب^(١) حسن جداً :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغواسل أثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كثناناً من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن رجل
وقال : وقت بها عيسى تطير بزجرها
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخبو يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبها^(١) في السير قول بعض العرب :
جاءَ وقد ملَّ ثَوَاءَ البحرينَ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إذا تَدَانِينَ
مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزر الناقة قول أبي حية :
تَدِرُّ لِلْعَصْفُورِ لو مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفِيلِ لو أَتَاهَا
ومن جيد ما وصف به سعة الاختلاف قول ابن لجأ :
كَأَنَّمَا نَصَّتْ إِلَى ضُرَّاتِهَا مِنْ نَحْرِ الطَّلَحِ مُجَوِّفَاتِهَا

وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :
أَتَمَّتْ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْيَةِ عَلَيْهَا فَتِي كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ
وقال أبو نواس :

أَيَا حَبْدًا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضُجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومِ
تَرَامِي بِهَا الْإِيحَافُ^(٢) حَتَّى كَأَنَّهَا تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال
سمعت جندل بن الراعي يشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورُهُ إِذَا غَدَتْ بُوزِلُ عَامِ أَوْسَدِيسُ كَبَازِلُ
قَالَ فَكَادَ صَدْرِي يَنْفَرُجُ مِنْ جُودَتِهَا حَتَّى كَتَبْتُهَا . وَدَرَّةُ الْإِبِلِ مَعَ النَّعَاسِ
وَالْغَنَمُ تَدِرُ مَعَ الْإِحْتِرَاسِ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ جَبِيهَا الْأَشْجَعِيِّ :
رَقُودُهُ لَوْ أَنَّ الدَّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَاضِرِهِ لَمْ تَنَّا كَرِ
أَيُّ مِنْ قَاضِرَةٍ فِيهَا يُقَالُ رَجُلٌ قَاضِرَةٌ إِذَا كَانَ يَتَجَنَّبُ النِّسَاءَ وَيَتَّقِي مَجَامِعَتَهُنَّ .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :
جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ بَرْدُ دُنَّ الْمِيَاهِ إِلَى الْعَشْرِ
يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كاللهضاب

(١) في الأصل « حواحبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً وإذا شربت في اليوم العاشر التقت في مثله وفي كروشها بقية من الماء .
وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أى اناء
شدت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على
الحائط ماشئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
قال فأقنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها
واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والرها
جمع رغوۃ ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسمعتها قول أبي ذؤاد :
فاذا أقبلت تقول اكلم مشرفات فوق الأكلام اكلم
وإذا أعرضت تقول قصور من سماهيج فوقها أطام
وإذا ما فجيها بطن غيب قلت نخل قد حان منه صرام
الغيب ماوارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :
ومهمه فيه السراب يلح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا
وقال رؤبة بن العجاج * يكل وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لمعه ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شراً
 * ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * وقال مسلم بن الوليد :
 تبحر الرياح بهامري موله حسرى تلوذ بأطراف الجلاميد
 قوله « بأطراف الجلاميد » زيادة ليست في بيت رؤبة . ويشبهون استواء الغلاة
 باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه كمثل ظهر الترس *
 وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :
 ودو ككف المشتري غير أنه بساط لأخماس المراسيل واسع
 شبهه بكف المشتري لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يسط
 كفه للصفق . وقلت في نحوه :

وبحر ككف الأكرمين يحفه صعيد كأيدي السائلين مديد
 وقال بعض الحديثين :

ودوية مثل السماء قطعتها مطوقة آفاقها بسائها

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفى حزناً أنى تطاللت كي أرى ذرى على دمع فما يران
 كأنهما والآل ينجاب عنهما من البعد عينا برقع خلجان
 وهذا من أغرب ما روى من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :
 ألا تيكا أعلام بثنة قد بدت كأن ذراها عممه سيب
 طوامسلى من دونهن عداوة ولى من وراء الظامسات حبيب
 بعيد على كسلان أودى ملالة وأما على ذى حاجة فقريب
 والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآل ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرى في الاشرار
 والظل مقرون بكل مطية مشى المهار الدثم بين رماك
 ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئتُ أداني صرومٌ مُشيعٌ معى وعقامٌ تتقى الفحل مُقلت
يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس حتى في الأكارع ميت
أداني : أعاني ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مُشيعٌ : شجاع كأن معه أصحاباً
يُشيعونه فهو جرىءٌ يعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ،
والمقلت : التى لا يبق لها ولدٌ ، وحى فى الأكارع ميتٌ : يعنى ظلاً قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :
وما راغى بالبين إلا ظمائنٌ دعون بكأى فاستجابت سوا كبه
بدت فى بياض الآل والبعد دونه كأسطر رقٍ أمراض الخط كاتبه
ولهم في وصف الاسفار فى البحار شعرٌ قليلٌ فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
* نعاज يرتمين الى نعاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :
يقولُ وقد مالتُ بنا نشوةُ الكرى نعاساً ومن يعلقُ سُرى الليل يكسل
أنخُ نعطِ انضاءَ النعاسِ دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الظريقة مُنجلى
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عود خلق كأنه والليل يرمى بالفسق
مُشاجبٌ وفلقٌ سقبٍ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِنَّ ، على عود خلق أى
طريق قديم دارس فكأنه يُريدُ كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوطٌ من سواد وبلق كأنه فى الجلودِ توليعُ البهق
أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الخباء ، وشبهه الشيخ بالطلق وهو القيد لانهائيه . وقريب منه قول الآخر :
عودٌ على عودٍ قوود للابل يموت بالترك ويحيا بالعمل
عودٌ : بعير ، على عود يعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :
فأصبحن بالمومة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميلُ العائم
كأن الكرى سقاها صرخدية عُقاراً تمشى فى المطا ^(١) والقوائم
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :
كان يديها وقد أرقلت وقد حزن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خراً فى غمرة فادركه الموت إلا قليلا
ومما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :
بدأن بنا وابن الليالى كأنه مُحسامٌ جلا عنه القيون صقيل
فما زلت أقتى كل يوم شبابه الى أن أتتك العيس وهو ضئيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك)
فمن أجود ما قيل فى وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول
الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :
يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسئل ويغمد
وقد أحسن عدى بن الرقاع ^(٢) فى وصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار وهو
يتعاوران من الغبار مُلأة بيضاء مُحملة هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير

مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسيا وإذا السنا بك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الطي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنَّ كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مداها
وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

برود بها ذب الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راح
ذب الرياد أي^(١) الوعل ، وبرود يجيء ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاو من الوحش ناشط تخال قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جاذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراد من سحق الاثمد
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقع ملاته غيره فهو خلفن كمي
قابض جمعها اليه كما يجتمع أيتامه اليه الوصى
كلما شم لا قحاسى منها رأس فخل برجلها معلى
خارج من ظلال تقع كما مسزق جلباب الخليل الغوى
قد طواها التسويق والشد حتى هي قب كأنهن القسى
هربت في رؤوسهن عيون غائرات كأنهن الركنى
وقال أيضاً : كأن آثار أظلاف الظباء به ودع يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ما قيل في السكلب وبليغه قول أبي نواس :

كأن لحية على افتراه^(٢) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مؤهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ مُشوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد الخلب

المقرب : السكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كانما الأظفورُ في قنابه موسى صناع رُدِّ في نصابه
تراه في الحضر إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اها به
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجيهما على شياتها شمَّ العراقيبِ مؤفاتها
مفروشة الأيدى شرنبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرَّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كان أقماراً على لبَّاتها ذل المآخير علساتها^(٣)
لنفتاً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الاصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الاطواقِ ضواحك من سعة الاشدق
وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تهجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
* كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرشي الثور:
وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرضَ أربعة

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادرُ الناظر وهو يبدُرُهُ كأنَّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهُ

وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

ترى طرفه ينسلان كلاهما كما اهتزَّ عودُ النبعة المتتابع
ينامُ بأحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجع

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصه غبارُهُ في فيه شفرتُهُ ونارُهُ

هو الخبيث ^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيتُ باليمن غلاماً من جَرَمٍ ينشدُ غزلاً فقلت
له صفها يا غلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنمتهما تتواقلنسوة يالها
أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر
شعرها ، والعترة غثرة كدرة ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحرمة ،
والدبسة حرمة كدرة ، والسجحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين
المضطربتهما ، والفعماء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصور : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث
عينه فراره : تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته » . وفي النسخ « عييه » بالباء وهو تصحيف .

الزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة ^(١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلبس ملء العين يحمل زوره	وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذئب مثل الشواء يمدّه	ومتن كتن القوس أعوج مناد
طواه الطوى حتى استمر مريره	فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضض عضلاً في أسرتها الردى	كقضضة المقرور أرعده البرد
عوى ثم أقمى فارتجزت فبهجته	فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأبعته أخرى وأضلت فصله	بحيث تلوى اللب والرعب والحد

وقال غيره في الفيل :

أجرّد كالعود طويل النابين بعيد ما بين محطّ الرجلين
ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولأعضل النابين حامل مخطم	به حجن طوراً وطوراً به فعم
يقلب جثاءاً عظيماً موثقاً	يهدّ بركنيه الجبال إذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره	ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه	إذا عمل النابين فى الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين حاجى

(١) قال المحبى فى جنى الجننتين فى تمييز المثنيين « الزئمتان هنتان تكون للعمز فى حلقها ، فان كانتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخصص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجى الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين
فضى الحقيبة والبطن والكشحيين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
الحدقين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافي
والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدره منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق طاجى المنقار
أغنَّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطاسى الدفتين سبجى الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أو شربتا عندما وكأن
عينيه جمرة ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

ومُتفقات الشكل مُختلفانه لبسنَ ظلاماً بالصباح مرّما
أخذنَ من الكافور أنفاً ومنسراً وخضبنَ بالحناء كفاً وأصبعا
وتدنو بأبصارٍ إذا ما أدرتها جالونَ عقيقاً للعيونِ مرصعا
تطيرُ بأمثال الجلام كأنها جنادلُ تدحوها ثلاثاً وأربعا
تبوع ^(٢) بها في الجو من غير فترة كأن مجاذيفاً تبوعُ بها معا
إذا هي عبّت في الغدير حسبتها تزقُّ فراخاً في المقادر جوطاً
وقال بعضهم في عين العمق :

يُقَلِّبُ عَيْنينِ في رأسِهِ كأنهما نقطتا زئبق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كأن الديكَ ديكُ بنى نَميرٍ أمير المؤمنين على السرير

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للمحيي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لَسَى الصَّبِيحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسْفَا
وَقَالَ دَيْكَ الْجِن :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَقَةِ التَّاجِ لَمَّا عُصِّيتْ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النِّعَمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدُ الْمُنَاوَلِ ظَاهِرُ
التَّكْلِيفِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّعٌ بِعَقِيقٍ مَقْرُطٌ بِلَجِينٍ عَلَيْهِ قَرَطُ وَشِيٍّ مُشْمَرُ الْكَفِينِ
قَدْ زَيَّنَ النِّحْرَ مِنْهُ نَتْنَانُ كَالْوَرْدَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يُبْدُو مُطَرَّرَ الطَّرَتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طَرُوبٍ مُصَفَّقِ الْكَفِينِ يَزْهِي بِتَاجٍ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذَوْرَعَيْنِ
وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قَنَاعَهُ فَتَالَقَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَاطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَّرَ الصَّبَاحُ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ تَوَجَّعَ بِالْعَقِيقِ وَطُوقًا
مُرْخِي فَضُولِ التَّاجِ فِي لُبَّاتِهِ وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرْفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَنَّمَا الْعَرَفُ مِنْهُ مَنْشَارُ
وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النِّعَمَانِ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :
وَمَكَانَ زَعْلٍ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْحُبُشِ تَمْشِي بِالْعَمَدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمَدِ . وَمَنْ أَحْسَنَ تَشْبِيهِهُ أَخَذَهُ الْعَمَانِي :
كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ
وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ :

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَا جَنَّةَ فَانْتَ الْجَنَانُ فَمَا تَبْلَغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تُثْمِنُ
أَلْفَتْهَا فَاتَّخَذَتْهَا وَطَنًا إِنَّ فَوَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ

أنظر وفكر فيما تطيفُ به إنَّ الأريبَ المفكرَ الفطن
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ ومن نعامٍ كأنها سُفنُ
ومثله قوله :

زروادى القصرِ نعم القصرُ والوادی وجبذا أهلهُ من حاضرٍ بادی
ترقى قراقيرهُ والعيسُ واقفةٌ والضبُّ والنونُ^(١) والملاحُ والحادی
وقول الآخر :

كأنَّ بالسهبِ على خربائه عرشاً ينخرُ الريحُ في قصبائه
يضحكُ جنُّ الأرضِ من نحاته كأنَّ قوسَ الغنيمِ من ورائه
يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاختة :
مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنَّها تُعلُّ مع الاشراقِ راحاً مُفلَلاً
ويروى « تُعلُّ رحيقاً في الفُصونِ مُفلَلاً » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها تجلُّ من جلدِ السحابةِ مفصلاً
بدتْ تجلُّ للعينِ طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلاً
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما تُقشِّرُ طلعاً أو تجردُ منصلاً
إذا حلقت في الجوِّ خلتَ جناحها يردُّ صغيراً أو يحركُ مُجلجلاً
وقال أبو نواس في حباريات :
يخطرُنَ من برانس قُشوب من حبيرِ عُولينَ بالتذهيبِ
فهنَّ أمثال النصارى الشيبِ

وقلتُ في قبجة^(٢) :

أهديتها كهلدى آنسة وهى سليلُ النواشِرِ النفرِ
تلبسُ سُمُورةً مُشمرةً تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرِها فضمَّ لَبَّاتها مع الثفرِ

تُحْطَرُ فِي حِلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّ أَكْهَامَهَا مِنَ الْحَبْرِ
 وَاحِرٌ مَنقَارُهَا وَمَنْخَرُهَا تَفْتُشُحُ الْوَرْدَ فِي نَدَى السَّحَرِ
 كَأَنَّهَا حَيْنَ نَقْطِ قَرَطِمِهَا تَضْرِبُ يَاقُوْتَةً عَلَى دُرَرٍ
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ :

كَأَنَّمَا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَاعِقٍ صَرْصَرَةُ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ
 وَنَقْلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا :

يَصْفَرُّ أحيانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجْ مِنْ مِثْلِ حَرْفِ الْمَجْدَحِ الْمَغْنَجِ

الْمَجْدَحُ : مَا يَجْدَحُ بِهِ السُّوَيْقُ ، وَالْمَغْنَجُ : الْمَعْطَفُ .

وَأَحْسَنَ مَاشَبَهَ بِهِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ يَصِفُ طَيْرًا أَنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ :

يَضْرِبْنَ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لَبِيقٌ كَمَفْرُوجِ الْمَنَاقِيشِ أَسْجَحُ
 لَبِيقٌ : أَيُّ رَفِيقٍ بِذَلِكَ حَازِقٌ بِهِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكَ لَبِيقَةً بِالشَّرْبِ ،
 وَالْمَفْرُوجُ : الْمَفْتُوحُ مَا بَيْنَهُ . وَقُلْتُ فِي الْخَطِّافِ :

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ تَزُورُنَا فَيُخْبِرُنِي عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارُهَا
 تُخْبِرُنِي ^(١) أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَمِيصُهُ وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى أَزَارُهَا
 وَأَنَّ وَجْهَ النَّدْرِ رَاقٍ بِيَاضِهَا وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارُهَا
 تَحْنُ الْبِنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَيَّ بَعْدَ مِنَ الشَّكْلِ دَارُهَا
 فَيُعْجِبُنَا وَسَطَ الْعَرَاصِ وَقَوْمُهَا وَيُؤْنِسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارُهَا
 أَغَارَ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَمِيصُهَا وَفَازَ بِالْوَانِ اللَّيَالِي خِمَارُهَا
 تَصْبِيحٌ كَمَا صَرَّتْ نَعَالُ عَرَائِسَ تَمَشَّتْ إِلَيْهَا هُنْدَاهَا وَنَوَارُهَا
 تَجَاوَرُنَا حَتَّى تَشَبَّ صَفَارُهَا وَتَقْضِي لِبَانَاتِ النُّفُوسِ كِبَارُهَا

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

وَعَرِيبَةٌ حَنَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا جَاءَتْ تَبْشُرُ بِالزَّمَانِ الْمَقْبُولِ

فرشت جناح الآبنوس وسطرت بالعاج فيه وقهقهته بالصندل
وقلت في أصواتها :

أيامعجباً من آنس لك نافر يُعاودُ وصلاً وهو في حالٍ هاجر
يزور على بُعدِ المكان ولم يُرد وصلاً فقل في زائرٍ غيرِ زائر
له في الذُرَى شذرٌ يَمُرُّ وينثى كما حرك الكعبين كفٌ مُقاصِر
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كأنَّ أصواتها في الجوَّ طائِرةٌ صوتُ الجلام إذا ما قصت الشعرا
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفَّ مائلٌ كالأسوار ذو جُجُجٍ مثل الرخام المرامر
أو مصحفٍ منهممٍ بأسطار ومقلّة صفراء مثل الدينار
يرفع جفنًا مثل حرف الزُّنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخاً كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلّة تصدقه إذا رَمَقَ كأنها نرجسةٌ بلا ورقٍ

وقال أبو نواس :

في هامةٍ عليها تهدي^(١) منسراً كمطفة الجيم يكفُّ أعسرا
وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليلُ داجٍ وضوءُ الصبحِ منهمُ الطلوع

كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ على أكتافها صدأُ الدروع

وقال في عين البازي * كأنها في الرأسِ مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهذي » .

وقال أيضاً: ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسينَ بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً: ذي جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفى واتصلت براته القوهى

صاف كفصن الذهب المجلى

وقال أيضاً: أقمر من ضرب بزة قمر يصقل حلاقاً شديد الطحر
كانه مكتحل متبر في هامة ملت كلم الفقر
تريخ ان راح لأمر بهر من منخر رحب كعقد العشر
وقلت في الصقر:

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
معتبر يهوى الى مزعفر بأبيض من البراة أقمر
منمن الصدر كصدر الدفتر بمثل اهداب جفون الاحور
وقلت: بصلتان سلط جسور تخاله في مفصل مزور
ضم جناحيه على سمور معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوان بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تبدل أوزان الأغاني عريها
تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الاصمعي يتمجب من حسين بيت الطرماح في صفة الظليم

بجتاب . وقلت في بلابل:

مررتُ بدكن القمص سودِ العائم تغنى على أعرافِ غيدِ نواعم
 زُهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاحم
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ مآخِرِها ولجيناً بطنه بالمقادم
 فياحسنَ خلق من نضارِ وفضة وخز وديباجِ أحمرٍ وقاتم
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى ذكوان وأبى خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الاُصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل فى وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشئ فقال الاُصمعى أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الاقوات من فيها
 وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً وياساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
 فقال الرشيدُ مابعل^(١) القوم بشئ إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر فى الغراب :

وجرى بينهم غداةً تحملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ تخالهُ فى الدارِ إثرَ الظاعنينَ مُقيدُ
 وقال آخر فى عقق :

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ فلا بارك اللهُ فى عققٍ
 طويل الذنابى قصير الجنا حمنى ما يجذ غفلةً يسرق
 يُقلِّب عَيْنينِ فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق
 وقال آخر فى الزناير :

لها حمةٌ كأنها شعر تظهرُ مسودَّةً وتستترُ
 قد أذهبت فى الجبينِ غرَّتَه إذ فضضت فى جيانا الغرر
 وقلت فى ظبية داجنة وقارى :

(١) بعل بأمره كفرج : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

ففيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ تومى بناظرها إلى ظمياء
تختالُ في متصنلٍ متكفر تبرأً أضرَّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهي جسيمةٌ رَّيا تمرمر في متونٍ ظماء
ومغنيات من وراءِ ستائرٍ مشقوقة الأوساط والاحشاء
غنت فلم تحوج إلى مشهورةٍ وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهنَّ أهلةٌ سودٌ تبدل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب صاحب أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آتحتك ياسيدي بعلق نفيس
يتعجب المتأمل من أحواله وبحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعبر في آياته فما تعرف
بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
حتى إذا أعطى متدبره النظر أو في حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حشرف ومتى أمن بسط
أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من ثمل ان رآته الأرقام رأت حينها أو
عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجبن
في حنادسه - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجمره من الضب شبهه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل
سبب ولم أعمه عايك هو أنفد ولذلك قيل من لم يذق غماضاً ولم يرقد حثائثاً
بات بلبلة الأنفد ، وذكره الشيهن وهو الشيعن وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنف من أكله وأفخر مطاعمها حتى تراه
أرفع من الأفاعي وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الأعراب أنه من مراكب
الشیطان وهو أطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
قنفذ) ومن أوأيده أنه يسود إذا هرم ويصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
ويشبهه به ركب المرأة عقب التفت والنورة ولذلك قال ابن طارقي أرجوزة له :
يصيرُ بعدَ حَلَقِهِ ونورَتِهِ كقنفذِ القفِّ اختي في فروته
ويشبهُ الساعى والنمام به لحبته ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :
كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُهُ خبٌّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم
وقال عبدة بن الطبيب (١) :
قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حُدجوا قنافذَ بالنيمة تَمَرُعُ
وقال جرير :

يَدبُّونَ حَوْلَ رَكائِهِم دَيْبَ القنَافِذِ في العرفج
فخذَه ياسيدى ممتعاً وأقبله شاكرًا برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أَرِقْتُ مُقَلَّتِي لِحَبِّ عَرُوسٍ طِفْلَةٍ في الملاح غيرِ شَمُوسٍ
فَتَنَتْنِي بِظُلْمَةٍ وَضِيَاءٍ إِذْ بَدَتْ لِي كَالعَاجِ في الابنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مقلتها بشماع يحكى شمع الشموس
ذات دَلَّ قصيرة كلما قا مت نهادى طويلة فى الجلوس
لم تزل تسبغ الضوء وتنقى كلَّ عضو لها مس التنجيس
دأبها ساعة الطهارة دفن العنبر الرطب فى الحنوط اليبس
ومن أجود ما قيل فى الحية قول النابغة :

صلُّ صفا لا ينطوى من القصر طويلة الاطراف من غير خفر
مهرونة الشدقين^(١) حولاء النظر تفت عن عوج حداد كلابر

داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعير
فكان شديقه إذا استعرضته شدا عجز مضمضت اطهور
وأجاد خلف فى قوله :

ثم أتى بحية مائنجي أبتر مثل يئذى الشطرنج
وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كاننى ساورتنى يوم بينهم رشاء مجدولة فى لونها بلق
كانها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة العرق
وقوله أيضاً :

أنعت رشاء لايجي ليدفتها لوقدها السيف لم يعلق به بلل
تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كم درع قد بطل
وقلت : وخفية الحركات تقتزع الربى كالبرق يلمع فى الغمام الرائح
منقوطة تحكى بطون صحائف ابان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظل صخيرة ومن المعاش باشقام روائح

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعام واكتفت بالنسيم .
وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوار غايته شبر من الاشبار
كأنه قضيب ماء جارى يفتّر عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيقته سواء
وقال أبو العباس ثعلب يُقال أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:
كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :
ياربّ ذى إفك كثير خدعه يبرّر كالقرنين حين يطلعه
في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه
لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طارت من زناد القادح
قد خلّتها تمشى بسبيحة عابد كالأقدامشى بصعدة راح
وقال آخر: يحمل رُمحاً ذا كعوبٍ مشتهر فيه سنان كالخريق يستعر
أنف تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شدّت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالعظاة تأتي شجرة بالتنضبة
فتمسك بيديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس
عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح
في الأرض وترتع قال أبو دواد :

إني أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا
والعرب تقول أحزم من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

وَيُسَبِّهُ بِهِ الرَّجُلُ الْخَصِيفَ ^(١) الَّذِي لَا يَتْرَكَ سَبَبًا إِلَّا أَخَذَ بِسَبَبِ أَمْتِنَ مِنْهُ .
 قَالَ ابْنُ الرَّوْحِيِّ فِي امْرَأَةٍ وَرَقِيهَا :

مَا بَالُهَا قَدْ حَسَنَتْ وَرَقِيهَا أَبَدًا قَبِيحٌ قَبَّحَ الرِّقَبَاءُ
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضُّحَى أَبَدًا يَكُونُ رَقِيهَا الْحَرْبَاءُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْحَرْبَاءُ فَارْسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ وَأَصْلُهَا خَوْرَبَاءُ أَيْ حَافِظُ الشَّمْسِ ،
 وَخَوْرُ اسْمٍ لِلشَّمْسِ بِالْفَارْسِيَّةِ ، وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ أَنْعَمَ الْعَرَبُ لِلْحَرْبَاءِ قَالَ :

وَدَوِّيَّةٌ جَرْدَاءُ جَدَّاءُ خِيَّمتَ بِهَا صَبَوَاتُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 كَأَنَّ يَدِي حَرْبَائِهَا مَتَمَسِّكَ يَدَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَائِبٍ
 وَقَالَ أَيْضًا : وَقَدْ جَعَلَ الْحَرْبَاءُ يَصْفُرُ لَوْنُهُ وَيَخْضَرُّ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ غَابِغِهِ
 وَيَسْبِجُ بِالْكَفَيْنِ سَبْحًا كَأَنَّهُ أَخُو فُجْرِهِ أَوْفَى بِهِ الْجَذَعُ صَالِبِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا : يَصِلُ بِهَا الْحَرْبَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلًا عَلَى الْجَدَلِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ
 إِذَا حَوَّلَ الظِّلَّ الْعَشِيَّ رَأَيْتَهُ حَنِيفًا فِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ
 وَهَذِهِ تَشْبِيهَاتٌ مُصَيِّبَةٌ لِمِصْبِيَّةٍ دَالَّةٌ عَلَى شِدَّةِ الْحَذَقِ وَثَقُوبِ الذَّهْنِ ، وَقَدْ

أَجْمَعَتِ الْعَرَبُ أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ أَحْسَنُهُمْ تَشْبِيهَاتٍ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :
 وَمَعْنَاهُ فِيهِ بَيَضَاتُ الْقَطَا كَسِرَا كَأَنَّهَا فِي الْأَفَاحِيصِ الْقَوَارِيرُ
 كَأَنَّ حَرْبَائِهَا وَالشَّمْسُ تُتَصَهَّرُ صَالٍ لَنَا مِنْ لَهَيْبِ النَّارِ مَقْرُورُ
 وَهَذَا تَشْبِيهٌُ مُصَيَّبٌ أَيْضًا إِلَّا أَنَّ لِلأَوَّلِ مَاءً وَطَلَاوَةً لَيْسَ لَذَا .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الضُّبِّ قَوْلُ الْحَمَّانِيِّ :

تَرَى ضُبَّهَا مَتَسَعًا رَأْسُهُ كَمَا مَدَّ سَاعِدَهُ الْأَقْطَعُ
 لَهُ ظَاهِرٌ مِثْلُ بَرْدِ الْوَشْيِ وَبَطْنٌ كَمَا حَسَرَ الْأَصْلَعُ
 هُوَ وَالضُّبُّ مَا مَدَّ سَكَانَهُ فَاذْ ضَمَّهُ فَبُو الضُّفْدَعُ

وَمِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي الْبَعُوضِ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ أَنْشَدَهُ أَبُو عَثْمَانَ :

(١) فِي نَسْخَةِ « الْخَصِيفِ » وَفِي أُخْرَى « الْخَلْفِيفِ » وَلَعَلَّ الصُّوَابَ مَا تُبْتَنَاهُ .

إذا البعوضُ زجَلَتْ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغْنِياتها
 لم تُطرب السامعَ خافضاتها وأرقَّ العينين رافعاتها
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها يقصرُ عن بُغْيَتها بُغَاتها
 ولا يصيبُ أبداً رُماتها راحمةٌ خرطومها قناتها
 وقال آخر : * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بليلاً كله لم أطرفِ قرقسه^(١) كالزبير المنتفِ
 يشقُّ الجلدَ وراء المطرفِ حتى ترى فيه كشكل المصحفِ
 أو مثل روس العصفَرِ المنتفِ

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ وينفي قَرَحَ القلبِ
 ولا يأتي على الزمرِ ولا يجري مع الضربِ
 غناءُ البقِّ بالليلِ ينافي طربَ الشربِ
 إذا ما طرَّقَ المسرَّ جرى في طلق الكربِ
 نحيفٌ راح كالشنِّ ولكن بات كالوطبِ
 إذا ما نقبَ الجلدَ عَ أخفى موضعَ النقبِ
 سوى حمرة خفيات تحاكي نقطَ الكتبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول
 عنتره في الذباب فإنه لم يتعرض^(٢) له ولو رامه من رامه لا فضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدهُ زجلاً كفعل الشاربِ المترنمِ
 هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِه فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأُجذمِ
 وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غناني
 ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطَ المعلمِ مُشكَلِ القرآنِ
 حتى إذا كشف الصباحُ قناعه قرأتُ لي الذُّبانُ بالالخانِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) في الاصل « لا تعرض » .

وكتب أبو القسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلفنى ويخلف من كان يلى الديوان قبلى يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلت هذا نوح النبي ﷺ سمناً ووقاراً وليس له عمل خلف سلته إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبان يطيرُ عرفه بطيراته قبل أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعٌ وهذا صيفى وهذا مُلِحٌ وهذا لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلساع وهذا يقع على الأقدام وهذا تزهرٌ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الخلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفدُ وهو يطير وهذا لا يسفدُ إلا واقماً وهذا مما يدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كحل عمى من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزجٌ مغنٌ وهذا صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشِّرُ بطنينه وزمرزمتة فيصدق فيما يعدُّ ويوعدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وغير . وظننته قد نظر فى باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك ففأتمته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف فى ذلك :

فيا عباد الله ما لقبيلة إذا ظهرت فى الأرض شدَّ مغيرها
فلا الدين بينها ولا هى تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍ يضيرها
وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرِّى طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّى يحيى بن خالدٍ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تفاقرت
براغيثها من بينِ مثنى وواحدٍ
ديارِجُهُ سودُ الجلودِ كأنَّها
نعالٌ يريدُ أرسلتُ في المزودِ
وقلتُ: ومن براغيث تنفى النومَ عن بصرى
كأنَّ جفَىَّ عن عيني قصيرَ أن
يطلبنَ مني ثأراً لستُ أعرفهُ
إلا عداوة سودانٍ لبيضانِ
وقد شكاهن الرماح الأُسدَى فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاط ليلٌ ولم يكن
بجنو الفضا ليلي على يطولُ
يؤرقى حُصبٌ صغارٌ أذلةٌ
وانَّ الذي يؤذينه للذليلُ
إذا ما قتلناهنَّ أضعفنَ كثرةً
علينا ولا ينمى لهنَّ قتيلاً
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً
وليس لبرغوثٍ إلى سبيلُ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمى
خلت في كلِّ موضعٍ منه خالا
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ
من بين مَقْتولٍ وبين عَقيرِ
وكانهنَّ إذا علونَ قبيصه
فردُّه وتوأمُ سمسمٍ مقشورِ
وقد أبدع جرير في قوله :

تري الصيبانَ ما كفةً عليه
كمنقعة الفرزِ دَقِ حينَ شابا
وقلتُ في النمل :

وحَيَّ أناخوا بالمنازلِ باللوى
فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدَّارِ ظلتُ كأنَّها
تبددُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليلِ أصبحت
بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يمينى ويُسرى إذا مشوا
كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كميناً
ويمشون صفاً في الدِّيارِ كأنَّها
يجرونَ خيطاً في الترابِ مبيناً
ففي كلِّ بيت من يسوتى قريةً
تضمُّ صنوفاً منهمُ وفنيها

فيا مَنْ رَأَى يَتاً يَضِيقُ بِخَمْسَةٍ وفيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْعُنْ مِثِينَا
 قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدماء :
 به البقُّ والحُمى وأسدُّ خَفِيَّةٍ وعمرُو بنُ هَندٍ يعتدِّي ويَجورُ
 وبالمصرِ برِعوثٌ وبقٌ وحَصْبَةٌ ومُحمي وطاعونٌ وتلك شرورُ
 وبالبِدوِ جُوعٌ لا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخانٌ على حَدِّ الأكامِ يَمُورُ
 ألا أتمنا الدنيا كما قالَ رَبُّنا لأحمدَ حُزنٌ تارَةً وسرورُ
 وقلت في الجراد :

أجنحةٌ كأنها أُرْدِيَةٌ من قَصَبٍ لكنَّها مَنْقُوطَةٌ مثلَ صدورِ الكُتُبِ
 وأرجلُ كأنَّها مناشِرٌ من ذهبٍ
 وقلت : وأعرابية تَرْتادُ زاداً فتمرقُ من بلادٍ في بلادٍ
 غدت تَمْشِي بِمَنْشَارٍ كَلِيلٍ تبوعُ به قِراةَ كُلِّ وادِي
 وتنشرُ في الهواءِ رِداءَ شَرِبٍ على أَرْجائه نَقْطُ المِدادِ
 وتلبسُ تحتَ ذاكِ عَطافٍ لاذٍ على أَكفافِهِ ودَعِ الجِسادِ
 ومن عَجِيبٍ ما قِيلَ في الفأرِ ما أَخْبَرنا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ
 سَعِيدٍ عَنِ الرِّياشِيِّ قالَ دَخَلَ اعرابِي البَصْرَةَ فَاشْتَرى خَبْزاً فَأَكَلَهُ الفأرُ فَقَالَ في ذَلِكَ :
 عَجَلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعَقَابِ لِعَامراتِ البَيْتِ بِالْخِرابِ
 كَحَلِّ العَيونِ وَقَصِّ الرِّقابِ بِمَجْرداتِ أَجَلِ الأَذْناِبِ
 مِثْلَ مِدارِ الطِّفْلِ الكِماهِ كَيْفَ لَهَا بِأَمْرِ وَثابِ
 مُنْهَرَتِ الشَّدو حديدِ النَّابِ كأَنما يَكْشُرُ عَنِ حِرابِ
 يَفْرَسُها كالأَسَدِ الوَثابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على
 محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتفه وراهنه فجميل لنا في أنفسنا ومواظب في أبداننا زواج يرشدنا ويهدينا ويكفينا عما يُسرديننا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شبية لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدثن إيانا حمداً تتألف أشتائنه وتتصل موادّه ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)
والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأول ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الاعرابي يقولُ
لأعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلي
على قُرب عهده :

لأنكذبنَ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ يوم واحد بدلُ
شرح الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى نكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عند غانية وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيباً » .

وأحسن منه غندى قول منصور النمرى ^(١) :

ما تنقضى حسرةً منى ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بأن الشبابُ ففانتنى بشرته ^(٢) صروفُ دهرٍ وأيامُ لنا خُدعُ
ما كنتُ أو في شبابي كنهَ غرتِه حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبه وأجمه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
فقال نعم لا خير في دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثين يُستطاب

وقال غيره :

فقلتُ وهل بعدَ الثلاثينَ مَلَبٌ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ مَلَبٌ
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفى على دهر الصبا القصيرِ وعُصْنِه ذى الورقِ النضيرِ
وسُكْرِه وذَنْبِه المغفورِ وَمَرَحِ القلوبِ فى الصدورِ
وطولِ حبلِ الأملِ المجرورِ فى ظلِّ عيشٍ غافلٍ غريرِ
أغْدُو وجنى الصبا أميرى ملء العيونِ الغانياتِ الحورِ

وقال الحماني :

وأيامه الغرُّ مثل الخطوطِ فى المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله
بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شرة الشباب : نشاطه ، وفى الأغنى (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصَّبَا وأيامه وعُذيق الغَوَايِ
وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغَوَايِ كالسوادِ من القلوبِ
فاذا استطعنَ خبائِئِي بين المحانِقِ والجيوبِ
وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع فاحزنْ فليستَ بمثله مفعوجا
وقال يصف نفسه في شبابه :

من بعد ما قد كنتُ أَى فتى كقضيبي بانِ ناعمِ رَطْبِ
فاذا رأتني عَيْنُ غَائِبَةٍ قالتْ أوابدُ طرفها حسي
ونحوه قوله : إذا ما عشتُ في عين خريدة فليست تحطاني الى من ورائي
وقال أعرابي : سقى الله أياماً لنا وليالياً لهنَّ بأَ كفافِ الشبابِ ملاعبُ
إذ العيشُ غُضُّ والشبابُ بَغْرَةٌ وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ
وانما آتى بالبيت والبيتين لأنَّني أَعتمدُ الفقرة فأوردها وأقصدُ النادرة فأكتبها

وأتوخي المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفتُ الى كل شيء منها شكلاً وقرنتُ اليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما .

تذكرُ إذ أنتَ قضيبي رطيب عليه للحسنِ رداءُ قشيبِ
خالطَ ماء الحسنِ في وجهه ماء شبابٍ لم يرقه المشيبِ
إذا مشى يخطر في برده غابر فيه الشكل حسن رطيبِ
كنتَ قضيبي البابِ لم يقتضب وأنتَ من بعدُ قضيبي قضيبي
فاللهـو مُعَبَّرٌ مقاديرـه مُعَفَّرُ الوجهِ حريبِ سليبِ

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبيد بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسى بساحته لله درُّ الشباب اللهم الخالى
وقال مزاحم العقيلي ^(١) :

عزاء على مافات من وصل خلة ومثل أليالينا بحطمة فاللوى
وريق شباب سله الشيب منجلى بلين وأيام قصار بمأسل
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكان غضاً أليت الشباب يعود يوماً
وقلت : قوام كما شاء المشيب معوج وفرع جللاه الشيب حتى كأنما
ووجهه كما لا تشبهه مشنج ^(٢) ونفشاء معروف من الصبح أبلج
تجلله عرف من الليل أدعج تروق وتصبى أو تضيع وتأرج
تخيط لها كف الغمام وتنسج لها نكته كالسك ابان يمزج
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرَّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدان إذا ما أخلقا

(١) شاعر فصيح اسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له
أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل ير كب أعجاز الابل
وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاء جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذوالرمة فسأله
كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول
وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا والشيب لاسوق له أن مسوقا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيض لها في مفرق الرأس انتشار
جديد^١ واللبس^(١) أعز منه وأحرى أن ينافسه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات^٢ نخادع نفسه ومن قبله عيش^٣ تعلل جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحمى وبها الخليط^٤ نزول
أيامهن^٥ قصيرة^٦ ومروروهن^٧ طويل
وسعودهن^٨ طوالع ونحوهن^٩ أفول
والمالكية والشببا ب وقينة^{١٠} وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددت^{١١} بياض^{١٢} السيف يوم^{١٣} لقينى مكان^{١٤} بياض^{١٥} الشيب حل^{١٦} بمفرق

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيئا^{١٧} لاح^{١٨} بي حدثا^{١٩} وأكبرى أننى^{٢٠} فى المهد^{٢١} لم أشب
لاتنكرى منه تجديد^{٢٢} تجله^(٢) فالسيف لا يدرى أن كان ذا شطب

ولا يرو عنك^{٢٣} إيماض^{٢٤} الفتير^{٢٥} به فان^{٢٦} ذاك ابتسام^{٢٧} الرأى والأدب

ووجدت بيتا^{٢٨} فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم^{٢٩} مشيب^{٣٠} فى ظلام^{٣١} شببية^{٣٢} وما حسن^{٣٣} ليل^{٣٤} ليس^{٣٥} فيه^{٣٦} نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا ير^{٣٧} عك^{٣٨} المشيب^{٣٩} يا ابنة^{٤٠} عبد الله^{٤١} فالشيب^{٤٢} زينة^{٤٣} وو^{٤٤} قار

انما^{٤٥} تحسن^{٤٦} الرياض^{٤٧} إذا^{٤٨} ما^{٤٩} ضحك^{٥٠} فى^{٥١} خلاها^{٥٢} الأنوار

وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيرا . (٢) فى ديوان أبى تمام «تجديداً تخلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجلك عجيب
فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا فان الكرى عند الصباح يطيب
وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب يمنعني مراحي

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :
لاح شيب فرحت أرح فيه مراح الطرف في العذار المحلى
وتولى الشباب فازددت غياً في ميادين باطلى اذ تولى
إن من ساء الزمان بشيء لأحق امرئ بأن يتسلى
وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حل بياضه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا
ولو خلت أنى إن كففت تحبتي تنكب عني رمت أن يتنكبا
ولكن إذا ما لكره حل تساحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً
وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
والمعنى مع أصابة تشبيهه في قوله * مراح الطرف في العذار المحلى *

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :
دقة في الحياة تدعى جلالاً ^(١) مثل ماسمى اللديغ سليماً
غرة مرة ^(٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهماً
وقال ابن المعتز :

لقد أبغضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكهاب
وقلت : فلا تعجبا أن يعين المشيب فما عين من ذاك إلا معيبا
إذا كان شيبى بغيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
وقد كنت أرقل برد الشباب قشيباً وأرقل وشياً قشيباً

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيباً وإن صلت صلت قضيباً قضبوا
ومن مليح ما قيل في الشيب وهزء النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكتُ من شبيبة ضحكتُ في سوادِ اللمة الرجله
ثم قالتُ وهي هازلةٌ جاءَ هذا الشيبُ بالعجله
قلتُ من حبيك لا كبر شابَ رأسى فأنثتُ خجله
وئنثُ جَفَنًا على كحلٍ هي منه الدهرُ مكثله
أكثرُ منه تعجبها وهي تجنيه وتضحكُ له

ومن مليح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلتُ أطلبُ وصلها بتعطفُ والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلِ
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقه إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيب كُرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقني أحجبُ بشيءٍ على البغضاءِ مودودُ
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيبِ ثم بكى عليه فكانَ أعزَّ فقداً من شباب
فقلْ للشيبِ لا تبرحَ حبيداً إذا نادى شباؤك بالذهاب
ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيبُ عليٌّ مما فقدتُ من الشبابِ أشدَّ فوتا
هذا البيتُ مضطربُ اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً وأبليتُ المشيبَ فصارَ موتا
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشدَّ فقداً » لقوله « فقدتُ من الشبابِ ». وقلت :

والشيبُ زورٌ يجتوى وقربهُ لا يرتضى وفقدُهُ لا يُشهى

قد يشهى كلُّ أمرٍ بلوغه وقلَّ من يبلغه إلا شكا

كأنما الشبابُ كانَ فرقةً له من الأنفسِ حبٌّ وقلّ

وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدحَ الشيبِ عندى مُعمَّرٌ وهل يمدحُ الشيبُ إلا تكلفا
فقلت انظرني أولاً منه مؤلماً لقلب فتى أو آخراً منه مُتلفا
تصرَّم من عمرى ثلاثونَ حِجَّةً لبستُ بهائوبَ الشبابِ مُطرَفاً
شبابٌ أطارَ الوجدَ عني غيابهُ وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مَصْرِفاً
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يَزَلْ به الشيبُ حتى ردّه مُتحنفاً
فطر بجناحِ اللهوِ في زمن الصبا فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناولَ وخطَ الشيبَ أطرافَ عارضى فأصبحَ ليلاً بالصباح مُشْتَفَاً
ومن المشهور قول دعل الخزاعي ^(١) :

لا تعجبى يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى
ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إنَّ بعدَ الفقرِ المرءَ قنوةً وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تحدد لحمة أبلى ثلاثَ عمامٍ ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف وأجدَّ لوناً بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوهُ فتداني وحنونَ قائمَ ظهره فتحاني ^(٢)
والموت يأتى بعد ذلك كلِّه وكأنما يعنى بذاك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا ، وقوله (وكانما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشبابٌ خفَّ نازله ليته عادَ كما كانا
ومشيبٌ آبَ نازله ليته إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا ينتقموا منه .
(٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهر^١ وثقت به^٢ رب^٣ موثوق به خانا
وانشدنا أبو أحمد :

وانكرت^٤ شمس الشيب في ليل^٥ لمتي^٦ لعمري لليل كان أحسن من شمس^٧
كان الصبا والسمت يطمس^٨ نوره^٩ عروس أناس مات في ليلة العرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحري :

في الشيب زجر^{١٠} له لو كان ينزجر^{١١} وبالغ منه^{١٢} لولا أنه حجر^{١٣}
إبيض ما سود^{١٤} من فوديه وارتجعت^(١) جليلة الصبح ما قد أغفل السحر^{١٥}
وللفتي^{١٦} مَهْلَةٌ في الحب واسعة^{١٧} مالم يمت في نواحي رأسه الشعر^{١٨}
ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيب^(٢) مختطاً بفودي خُطَّةً^(٣) سبيل^(٤) الرَّدَى منها إلى النفس مهبع^(٥)
هو الزور^(٦) يجفئ والمعاشر^(٧) يُجتوى وذو الألف يُقلى والجديد يُرَقَم^(٨)
له منظر^(٩) في العين أبيض ناصع^(١٠) ولكن^(١١) في القلب أسود أسفع^(١٢)
ونحن نرحبه على الكره والرضا وأنف القى في^(١٣) وجهه وهو أجدع^(١٤)
ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم :

عجبت لما رأتني غادة^(١) ما بين غيد^(٢)
ضحكت إذا بصرتنى قد تزينت^(٣) لعيد^(٤)
ثم نادى^(٥) جميعاً يا عتيقاً في جديد^(٦)
غرنا منك خضاب^(٧) قد تراءى من بعيد^(٨)
لاتغالطنا فما تصـلح^(٩) إلا للصدود^(١٠)

وقال ابن الرومي :

فدعته^(١) إلى الخضاب وقالت^(٢) إن^(٣) دفن المعيب غير معيب

(١) في الأصل (إرتجست) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا لهم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذار^ه كه مثل الاتحى مطر^ز وفرع^ه كلون^ه العبرى^ه محبر^ه
 وقد كان من صبغ الشباب ممسكا فأصبح^ه في كف^ه المشيب مكفر^ه
 فقل^ه للعذول أقصر الآن إننى على الرغم من أنف الصباية مقصر^ه
 كفالك تكاليف الملام كواكب^ه من الشيب في ليل الشيبة تزهر^ه
 لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح في وجه الدجنة يكشر^ه
 وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله:

ماشبت^ه من كبر^ه ولسكى أمرؤ^ه عالجت قرع^ه نوائب الدهر^ه
 فرأيتها عضلا موقعة عزت^ه فما تُسطاع بالكسر^ه
 فلذلك صرت مع الشيبة نازلا في غير منزلتى من العمر^ه
 ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمحان:

حنتنى حادثات الدهر^ه حتى كائى خاتل^ه أدنو لصيد^ه
 قريب الخطو يحسب^ه من رأتى ولست^ه مقيدا أنى بقيد^ه
 وقد أحسن الآخر في قوله أيضا:

الدهر^ه أبلانى وما أبليته^ه والدهر^ه غيرنى وما يتغير^ه
 والدهر^ه قيدنى بقيد^ه مُبرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقصير الخطو في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي :

قد ترك الدهر عصاتى صفصفا فصار رأسى جبهة الى القفا
 كأنما قد كان ربعا فمعا يمسى ويضحى المنايا هدفا
 ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة تلمع فأقبلت^ه قائلة^ه تسترجم^ه
 مارأس ذا إلا جبيناً أجمع

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، مخضرم معدود في الفحول ،
 (٢١ - ثانى المعاني)

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا جبين وجهه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قناه الى وجهه :
يجذب من نقرته طرة إلى مدى تقصر عن نيله
فوجهه يأخذ من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي لخلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذق فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطالعه
فما شوق عيني إلى قرة كشوق يميني للصلمه
يسكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفمه
فملنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذبال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تودّ النساء المبصراتي أنه يعار فيستأجرنه للمرائس

وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشدد الكف بالمريح الجميل
ما أرى للحصام يصدأ حسناً إنما الحسن للحصام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فردّه ، وخطبها ابن عم له
فزوجها فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظماً وأدمعاً تنهلُ منها سحبا
 علمت ما بي فجفوت علماً من ستم الوصل تجنى الجرما
 فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فن لامنني فيه فبدل مايا
 فما أشرف الایفاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال الانداويا
 فأتى الزوج أباه فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :
 فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبيَّ ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضباً وإذا يزيد بفنائها وهو يقول :
 تراءتُ وأستارُ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
 بعيني مهابةً تحدرُ الدمع منها برمين شتى من دموع وأثم
 فجمع أهل بيته وأخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يخلق :

أقول لثورٍ وهو يخلقُ لمتى بعقاءَ مردودٍ عليها نصابها
 ترفقُ بها ياتورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فياربَّ يوم قد تغلل وسطها أنا مل رخصات حديث خضابها
 تولى بها (١) ثورٌ ترفُّ كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :
 والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانيبه نهار
 ولأبي إسحق الصابي أبيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقلَّ مالي وضاق متسعى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الاغانى « خبؤها » .

حاسبت عن لثى مزينها حساب شيخ للحق متبع
قلت له اقنع من أصل واجبها بالثلث مما به علت معي
واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف مني خراج مزرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن منده وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
فأسفله طعم وأعله علم وأما الهامة فكما قال الشاعر :

بنى إنا الحمد آباء لهم شرف صلح الرؤوس وسيا السؤدد الصلح
وقال آخر : كفى حزناً أني أدب على العصا فيأمن أعدائي ويغضني أهلي
ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة على وما قام الحواضن عن مثلي
أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت ميل عصاي ولا رجلي
وقال محمود الوراق في ذم الخضاب :

يشيب الناس في زمن طويل ولي في كل ثالث مشيب
وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريب
وقلت : جريت لعارض غيث الليالي تحالك لونه فابيض جله
وصرت تقص ما يبيض منه أتخلقه إذا ما يبيض كله
تعر عن الشيبة والله عنها فان الليل ليس بدوم ظله
وخل الشيب يضحك ناجداه فان الصبح لا يخفى مظهله
وان حلت عرى اللذات فيه فلست بما قد ماجد جلله

﴿ الفصل الثاني من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والامراض والمرأى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدت
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقات لهم من كثرة القتل مسها الوصب
محررتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهدٌ عجب
ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرة قد خلط الترجس فى ورده
ما احمرت العين ولكن يكحلها من وردتى خده

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرة قد حازها من وردة الخد
فقلت لم يرمد ولكن يضافح الترجس بالورد

ومن مليح ما قيل فى شكايه الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحه قد أصـبح لاسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه :

لم تشن وجهه الجميل ولكن حطمت ورد جنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خدّه فأبدلت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنى المسحاح أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكرماتهم
فاشتراه بنو المسحاح وكان يكسر في كلامه فقال يوسف فحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبار نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قديرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تبعُ
ما يبتغي خاباً من محاسنها أمله في القباح متسع
لو كان ينبغي الفداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وجمع
ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امرأة وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليلة جعلتك فيها كالقواء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرقٌ على وجه الفراش وطيبُ
ومن عجيب ما يُروى له قوله يمدح نفسه :
إن كنتُ عبداً فنفسي حرةٌ كرماء أو أسود اللون انى أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانئ :

يا قمرًا للنصف من شهره أبدى ضياءً ثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدٌ محمدٌ المجدُّ مَوْجِعُ الشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن مُحِمت فلا مُحِمت فانها داءُ الاسود وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحتري :

وما الكلبُ محمومًا وإن طال مُعمره ألا إنما الحى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّنى انى رأيتك واطئًا على عقبي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلّ يبغى رائد البرء موردًا لديك ويبغى فارط السقم مصدرًا
ولا غرو أن يغشاك عارضُ علة فانى رأيتُ الورد يقشى الغضنفرًا
ولو كنتَ نجمًا ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا مُنورًا
ومن ذلك قول على بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلًا من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعًا في صفحتي كلِّ صارمٍ خَدم^(١)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضًا في رَجَلٍ اعتل :
طالَ فكري تعجبًا لمصوغ ذهبًا كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسنًا كلما زاده الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبقهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جدًّا . وقال عبد الصمد بن المزدل^(٣) يذكر الحمى :
فطورًا ألقيا مُسخنةً وطورًا ألقيا فستره

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطار .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
المعارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

رقد أعفيت خلق حدةً وأورثوا الفها ضجره
 للعبد أن غاظني لطفه وللحر أن ساء لي زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبع فتعلو الترائب والصدرة
 وأمسى كافي من معدني لبست ثيابي على ذكره
 أسائل أهل عن سحتي وأمنحهم نظرة نظره
 وأجزع إن قيل بي صفة وأشفق إن قيل بي حمة

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال الأبرار بدراً وفي النماء هلالاً
 كيف كانت عقبي افتصادك كانت صحةً مستفاداً واندمالاً
 واعتدالاً بين المزاج كما أو تيت في الخلق والخلق اعتدالاً
 فعل الله ذاك أنك ما زلت لمرضى ما ارتضى فعلاً
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعلي بن
 عبد العزيز الجرجاني :

بأيت عيني تحملت أملك وليت نفسي تقسمت سقمك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أعرتني حسن وجنتيك كما تعيره أن لمت من لثمك
 طرفك أمضى من حد مبضعه فالخط به العرق واغتمم أملك

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذر كوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكومت والزكاة قبيحة
 الجوار مانعة من عشرة الأحرار . قال وكانت عجوز من بني عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداق شيء مليح أثبتته لك غير أنى سمعت
 بعضهم أياً تأني صفر العمامة حتى أشبهت عصا به يعصب بها الصداق وهي هذه الأبيات :

وقدّمتْ إليّ وعداً بأنك مُلبسى ثياباً اليهنَّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنَّ إلا عمامةً بأمثالها الأمثالُ في النقص تضربُ
 يقول أناسٌ لي إذا مالبستها أراسك هذا من صداعٍ مُعصَّبٍ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٍ فيه ذكر الصداع وهو قوله :
 حلَّ من قلبه حَلَّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صداعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالت فوق منال الصداع مني
 وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدعني مثل صدعني
 وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةٍ قسب وينشر الحية مثلَ الشراع
 عليه عمامةٌ قصرت ودقت فتحسبه تعصبَ من صداع
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجهٌ للحسن معدنٌ فتأمل وتبين
 نقطٌ من جدرى كدباقي معين

وأما النقرس فقد مرَّ بي فيه آياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن
 سوار بن أبى شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن على بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعودده فقال له كيف أنت يا بنى ؟ فقال :

أشكو الى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
 كأني لم أطأ بها كبدًا من حاسدٍ سرَّ قلبه إليّ
 والحمد لله لا شريكَ له لمحى للأرض بعدها ودمى
 مامنٍ صحيحٍ إلا ستنقله الا يامُ من صعةٍ إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المبرد وأبي العينا قال كان أبو على الحرمازى

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف
الخرمazy ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاخذل جاني ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف نقرس أما نقرس في مفلس بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفة ، ومنه قول الاعرابي :

فصرتُ يمدّ الفقير والتأيس يخشى على القوم داء النقرس
ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس : يخشى عليك من الجباء النقرس *
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجمار عند أبي يوماً ودخل رجل فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجمار ما بين الاختلاف على وجهك . وقال امتنني في الحمى :

وزائرتي كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
جعلت لها المطارف والحشايا فماقتها وباتت في عظامي
إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخبرني رحت في حلة الضنى لبالي عشرأضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية كما تنفضت في الدجن قادمي نسر
تندرت على الورس في وضح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصر
إذا انصرفت جاء الصداق مشرأ نأري عليها في الاذية والشر
وتجعل أعضائي عيوناً دوامها نواصل بين السكب والسجود والهمر
تمحسه طلاء على أفحوانة وعهدى به يحكى حنا بأعلى حمر

ولما تَمَدَّتْ عَذْتُ مِنْهَا بِحِمِيَةٍ كَمَنْ تَرَكَ الرَّمْضَاءَ وَانْفَلَّ فِي الْجَمْرِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَضُرٌّ عَلَى الْأَحْرَارِ يَالِكَ مِنْ ضَرِّ
مَنْ مَرَضَ لِمَرَضِ الْجَفُونَ : أَنَشِدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ أَنَشِدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
ابن عبد الله لنفسه :

تَمَارَضْتُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَكَ عِلَّةٌ وَقُلْتُ شَهِيدِي مَا بَطَرُ فِي مِنَ السَّقَمِ
فَلَا تَجْعَلَانِ سَقَمًا بَطَرُكَ عِلَّةٌ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ السَّقَمُ فِي صَحَّةِ الْجِسْمِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَحْبَبْتُ مَنْ أَجَلُهُ مِنْ كَانَ يَشْبَهُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعْشُوقِ مَعْشُوقٌ
وَقَدْ حَلَمْتُ بِجَسَمِي سَقَمَ مَقْلَتُهُ كَأَنَّ جَسَمِي مِنْ عَيْنِهِ مَسْرُوقٌ
وَقَالَ الْأَخِيضُ : كَيْفَ يَضْنِي بَعْدَ مَا كَانَ الضَّنَى عَوْنًا لِعَيْنِهِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَقَدْ مَرَضَ فَتَخَلَّفَ أَخُوَانُهُ عَنْ عِيَادَتِهِ :

عَلَيْكُمْ لَا يَبَادُ مِنْ عِلَّةٍ وَضَيْفُكُمْ لَا يَسُدُّ مِنْ خِلَّةٍ
لَا ابْنَ جَفَوْتُمْ دَنَا الْمَاتُ وَلَا أَنْ زُرْتُمْ تُنْسَوْنَ فِي أَجَلِهِ
مَا ضَرَّ مَجْفَوْكُمْ جَفَاؤُكُمْ بِالْأَمْسِ فِي جِسْمِهِ وَلَا أَمَلُهُ

وَأَنَشِدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْيَزِيدِيِّ :

مَا لِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْ وَرَغِبْتُ فَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ
الْحُبُّ يُذْهِبُهُ الْأَذَى فَاحْذَرْ عَلَيْهِ وَلَا تَعُدْ

وَهَذَا شِعْرٌ مَطْبُوعٌ مُخْتَارٌ ، وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مُأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَ مَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
وَقُلْتُ : وَقَدْ عَادَنِي الْأَخْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَا قَصَرُوا فِي الْعَرَفِ وَالْفَضْلِ وَالْبِرِّ
فَلَمْ لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ فَيَكْمُلُ حَسَنُهُمْ أَيَاظُمًا أَخْلَى النُّجُومَ مِنَ الْبَدْرِ
وَإِذَا كُنْتُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ فَلَمْ تَسْلُ عَنْيَ فَتَخْبِرُ عَنْ أَمْرِي
وَمَالِكٌ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِأَسْطَرِ تَمَجُّجَهَا إِحْدَى يَمِينِكَ فِي ظَهْرِ

نضنُّ بتسليمِ وزرةِ ساعةٍ فكيف يُرْحى جودُ كفيك بالوفر
 فان كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
 إذا لم تكونوا للحقوقِ فمن لها وأنتم كرامُ الناس في البدو والحضر
 وأنت إذا أنحيت تفري أدِيمها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
 وما لعداةِ العلمِ تذكُّرُ عيهمْ وأنت على أمثالٍ غايرهم تَجْرى
 ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومي :

قد قلت إذ مدحوا الحياةَ فأكثروا للموت ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
 فيها أمانٌ لقاءه بقاءه وفراق كل مُعاشِرٍ لا ينصِفُ
 ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :
 بات الأميرُ وبات بدرُ سماننا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ
 ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألم يبلِّغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهلها صروف
 صريحٌ لم يُوسِّدْهُ قريب ولم يشركه في الشكوى أليفُ
 يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يحول على محاسنه كسوف
 ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف
 المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر
 إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُتَّقى به ومنه أخذ قوله :
 وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزن

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له
 ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وحاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً
 فلم يعلَم على ذلك فقال : ليسوا في الموت يبدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد
 ولا جدوى للجزع فسلام تلوموننى . فهذه الثلاثة الأقسام لأربع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أبادوا جزل حظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيـد ان عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانـت بلاغته فأنكر ذلك الرشيـد وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له ولداً لمير المؤمنين في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرى الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكـرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيـد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :
 لله ما ضمنت حفيرتها من حسن مرأى وطهر مختبر
 أضحت من الساكنى حفائهم سكنى الغوالى مداهن السرير
 لو علم القبر من أتيح له لا يخفض القبر غير محتفر
 وهذا البيت مأخوذ من قول الأول :
 لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداء قول أوس بن حجر :
 أيتها النفس أجلى جزعاً ان الذى تحذرين قد وقعا
 وأحسن مرثية لمحدث ابتداء قول أبى تمام الطائى :
 أصم بك الداعى ^(٢) وإن كان اسمها وأصبح مغنى الجود بمدك بلقما
 فقال فيها : فتى كان شرباً للعفاة ومرعى فاصبح للهنديـة البيض مرتما

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوان أبى تيمام « الناعى » .

إذا ساء يوماً في الكربة منظرًا تصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن محمير تداني به المدي فخانك حتى لم يجد فيك منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا
وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
لقد لا منى عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
أمن أجل قبر بالملأ أنت نائحٌ على كل قبر أو على كل هالك
فقلت له ان الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب عن
الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
لهفي عليك للهفة من خائف كنت المحير له وليس مجير
عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
فالناس ماتهم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث :
على قبره بين القبور مهابةً كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر
وقالوا أرثاه قول ابن مُنَادِر :

أنعي فتى الجود إلى الجود
مماثل من أنعي بموجود
أنعي فتى مصّ الثرى بعده
بقية المساء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول
لو سُئِلْتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختر على أبيات الخزيمى :

ألم ترفى أبى على الليث بنيةً وأحثى عليه الترب لا تخشعُ
وأعدده ذُخْرًا لكلِّ مِلَّةٍ وسهمُ المنايا بالذخائر مُولعُ
وأنى وإن أظهرت منى جلادةً وصانعتُ أعدائى عليه لموجُ
ولو شئتُ أن أبكى دمًا لبكيتُه عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بُنيان قوم تهدما
وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنت أكل من مشى وافترّ نأبك عن شباه القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح

وقال الأصمعى أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بت مستشعر الثرى وردن^(١) بما رودتنى مُتمتما
ولو أنى أنصفتك الودد لم أبت خلافا حتى تنطوى فى الثرى معا

ومن أحسن ما قيل فى بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيش فى معروفه بمدّ موته كما كان بمدّ السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) فى الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمى الدولتين

الأموية والعباسية مقدم فى القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتُ للسماحة مضجعا
وياقبرَ معنٍ كيفَ وارىتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنُ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المسكارم أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهمل في كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلَّ عزيمةٍ لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحداً ناراً ولم ينزل ضيفاً إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المراثي قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى مُجذِبةَ حَقبةٍ من الدهرِ حتى قيلَ لن نتصدعا
فلما تفرقنا كآنى ومالكا لطولِ اجتماع لم نبت ليلةً مما

وليس في الحديثين أحسن مرأى من أبى تمام فن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد ^(١) نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر ^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
فتى مات بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ إن فاته النصرُ
فتى سلبته الخيل وهو لها حِمى وبزته نارُ الحربِ وهو لها جمر
كانَ بنى نهان يومَ وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتت أنها قبرُ
وكيف احتمل للسحاب ^(٣) صنيعة بأهوائه قبراً وفي لحده البحرُ
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختار .

(١) أي ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الاصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

أدريسُ ضاعُ المجدُ بمدكُ كله
وضلَّ بكُ المرتادُ من حيث يهتدى
وتبسطُ كفًا في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنسَ سعيَ الجودِ حولَ سريره
وقد كانَ يدعى لابسَ الصبرِ حازمًا

وقوله في بنى حميد :

عهدي بهم تستنيرُ الأرضُ انزلوا
ويضحكُ الدهرُ منهم عن غطارفة
فيا الشماتة إعلانا بأسدِ وغى
وقوله أيضا: إذا فقدَ المفقودُ من آلِ مالك
خليلي من بعد الأسمى والجوى قفا
الما فهذا مصرعُ البأسِ والندى
المُ تر يا الأيامُ كيفَ فجعنا
خطوبُ اليه من نداءٍ وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أوردُ وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحبي ليحيا ولم يكن
تيممتُ فيه الفال حين رزقه
الى ردِّ أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن الفال فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

وجفن سلاح من معد رزقته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أنساته لياليا

(١) أى قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أنَّ الفجيمة بالرياض نواضراً لا أجلُّ منها بالرياض ذوا بلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائل
لغدا سكونهما حجا وصباها حلماً وتلك الأرحمة نائلا
أنَّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرّاً كاملا
ثم قال يوسيه :

ان ترز في طرفي نهار واحد رُزعين هاجبا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهما بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن يؤسيك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادها لك سمحة اسجاح لبك سامعاً أو قائلا
هل تكلف الأيدي بهزّ مُهنّدٍ إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرى فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمرّه مُنكوبٌ على آثارهنّ مُنكوب
هوت أمّه ما يبعثُ الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل حين يوّوب
حليمٌ إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف بهتر للندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدت تمانى انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دعا نازح من يحجب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا

ومن عجب المراثى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
وقل الذى يجدى ومن كان يجتدى
وقل للمطايا قد أمنت من السرى
وطى الفيا فى فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجمفر
ولن تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطى
وقل للرزايا كل يوم تجددى
ودونك سيفاً برمكياً مُهنداً
أصيب بسيف الهاشمى المهند
ومن جيد المراثى قول الآخر :

سأبكيك الدنيا ولدين انى
رأيت يد المعروف بعدك شلت
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وليث إذا ما المشرقية سُلت
وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية^(٢) حين مُصاب :
مُعلو فى الحياة وفى المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كأن الناس بعدك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برأ جواداً ، نغم عليه عز الدولة أمراً

فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقك تلك) .

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً وَكَلِمُهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاتِ
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعاً كَدُّ كَمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
 وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُعْلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا ^(١) عَنْ الْأُكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
 فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعاً تَمَكَّنَ مِنْ عُنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
 وَمَنْ جِيدٍ مَا قِيلَ فِي عَظَمِ شَأْنِ الْمَيْتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نِهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورُكُمْ مُسْتَشْرِفَاتٌ ^(٢) الْمَعَالِمِ
 رَوَاكِدُ قَيْدٍ ^(٣) الْكَفِّ مِنْ مَتَنَاوِلِ وَفِيهَا عُعْلَاً لَا يُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
 وَقُلْتُ: سَأَلْتُ الْقَبْرَ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْساً وَأَبَاناً وَيَذْبَلًا وَحِرَاءَ
 مَنْ رَأَى الْبَدْرَ بِالتَّرَابِ تَوَارَى أَوْ عَلَى ذُرُوقِ النَّمْعُوشِ تَرَاءَى
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَأَحْسَنُ :

تَعَالَوْا نَزُرْ قَبْرَ السَّمَاحَةِ وَالرَّفْدِ وَلَا نَعْتَذِرُ مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ عَلَى خَدٍّ
 لَقَدْ عَشْتُمْ لَمْ يَلْمُقْ بِفَعْلِكَ ذِمَّةً ^(٤) وَمُتَّ عَلَى رَغَمِ الْحَامِدِ وَالْمُجْدِ
 وَقَالَ أَيْضاً :

أَنْسَتْ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَامِدِ وَكَيْفَ دَفَنَّا الْخَلْقَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
 وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ مُبْسُتٌ عَوَامِدٌ وَيَحْسَنُ إِنْ أَحْسَنَ غَيْرَ عَوَامِدٍ
 وَقَالَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَازِيُّ :

حَنَظَّتُهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ وَرَفَعْتُهُ لِلْمَنْزِلِ الْمُهْجُورِ
 هَلَا يَبْعُضُ خِلَالَهُ حَنَظَّتُهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ

(١) فِي رَوَايَةٍ (وَاسْتَعَاذُوا) . (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مُشْرِفَاتٍ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكِدُ قَيْسٍ) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 غدت داره قفراً ومفناه بلقما
 أشل وأن الجود أصبح أجدا
 إلى المجد والعلیاء كيف تخشعا
 على الجود والمعروف والفضل أربعا
 ونوحاً لفقد العارفات مرجما
 ولكنه بنيان قوم تضععما
 ولا تحسبا أنى أواریه وحده

ومن بارع المرأى قول ديك الجن الحمصى :

مات حبيب فمات ليث
 سميت عيون الردى إليه
 وغاض بحرته وباح نجم
 وهى إلى المكرمات تسمو
 مأمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجنب
 يزاد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 له عن عذوب فى ثياب صديق
 وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء ومهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

محتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فأنت فى عراض الدنيا ترغبتها

دار إذا أنت الآمال تعمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخر بها

أصبحت نطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظة
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقلت: ألسَتِ ترى موتَ العالِ والفضائلِ
فما المنايا أغفلتُ كلَّ ناقصٍ
على الرَّغمِ من أنفِ العلاءِ سبقَ الردى
على أنَّ من أبقتَه ليسَ بخالدٍ
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائحٍ
ولم أرَ كاللّنيا حبيباً مُضرّةً
وقال ابن المعتز :

كم بدارِ الموتِ من ذى إربة
ومُلوِكِ بليتِ أبديمِ
وقلت: فتمعجبتُ كيفَ لانهدرُ الموتُ
عجرتُ منه على الموتِ الحيلُ
وتقدَّ كانتُ مطايا للقبلِ
تَ وأنفاسنا خطانا إليه
وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظرِ معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
وهو : أيها المستدل على أمور الدنيا كفك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدّها وأبان
لك دُؤوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محشوة
إلى أمدّها كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثاً من أحداثها لاتمسك منها
بعمرة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظمتها أوشهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفتناء على نفسها ، ألم تر أجزاءها
مؤلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إرهابها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر
وتهدمه وللحديد وتلذذه وانثاقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعدتها لشبهه وقرنه إذ كر أن جسدك وشيكاً
مفارقك وأنه وإن جددته مخلقت وأنك تطلقه في شهواته ويونفك وتبقى عليه من التعب
ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تنكّل في عقبك - إلى أن قال وتقوى على الزهد
فيما يتنافسها الجهال بذكر الموت وفجائته وبقناته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخذال
الحالة عن دمه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها
من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض
والأوصال سياق رهاق مضيق للحناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة
وفي الجوانح رجرة وفي اللوات غررة وفي الخلقوم خرخرة بالنزع الجاذب
والعلن الكاذب والفواق الدائب والانساف الذواهب فهناك تنفس الصعداء
وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمى بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله
نهى وجوعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب
عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود بالظلم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم
بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول النمر بن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفل
يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة تعقل
يردُ الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .
وقال بعضهم في معناه :

مأبالٌ من أمته بقاؤهُ نفصَ عيشي كلهُ فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماتراهُ من الأشياءِ تحلو في الحلو
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤُ كما يشفى وإنَّ كانَ لا يجدى فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندي
توفى حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فله كيفَ اختارَ واسطةَ المقدِ
طواهُ الردى غنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطرُ له ولو أنه أقسى من الحجر الصلدِ
وماسرَّتني أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلدِ
ولا بعته طوعاً ولا كنً غصبتَه وليسَ على ظلمِ الحوادثِ من مُعدى

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفرٍ فلقني غلاماً له فقال له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتى قال فما فعلت امرأتى؟ قال ماتت قال جدد فراشي قال فما فعل أخى؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدُموعِ الذوارفِ السفجج
راحوا يبجي ولو تطاوعنى الأُ قدار لم تبتكر ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له الـيومَ ومن كانَ أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنعاء والليث الهزبر أبى الأجر
تأملُ فان كانَ البكا رَدَّ هالِكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادحٌ
وما كنتُ أدري ما فاضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك ما فاضتْ دُموعى وإن تغضُ فحسبك منى ما تحنُّ الجوانحُ
كانَ لم يمتْ حتى سواك ولم تقمَّ على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لئن حسنتُ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعٌ ولا يسرورٍ بعد موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا
أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَروَاتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير أنه حتى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمَّ وقد ضاقَ بالنكس اللثيم مصادره
فصادفَ رق الموتِ حراً سميدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه وبفى الحياء المرءَ والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان قوت الموت سهلاً فرَّدهُ عليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقى لم تسلم من فتنته ، عجبا لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلاص من الكدر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمدده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
 وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دلف أنشد :

لا يمتنعنك خفض العيش في دعية تزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وحيراناً بجيران

فقال : هذا الأثم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : التزوع ههنا ردى . والجيد النزاع ، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأثم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لموافقه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل . وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بداً فيه قبائك ولا تحف أرضاً فيه قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها خوفاً ^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس ألفهم للناس . وقديين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلتُ نحو اليمامة رفقاً^٢ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى وما زددتُ إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثيرٌ من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعتُ الرُّمَحَ ^(٣) اذ قالوا قريشٌ^٤ وشبهتُ الشَّمالَ والقبا^(٥)

(١) سقط من الأصل «خوفاً» أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «وينت الشمال والعتابا»

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سِرتُ أتبع السحابة
وقال الحويذرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل.
وقال أبو تمام: كم منزل في الأرض يألفهُ الفتى وحنيئهُ أبدأً لاوّل منزل
وقد قالت الهند: حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لأن غذاءك منهما
وغذاءهما منك. وقال آخر: أرض الرجل ظُمره وداره مهده. وقال آخر: الحنين إلى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرحابة والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشد وطهارة الرشد من كرم المحتد قال الشاعر:
لقربُ الدّار في الاقتار خيرٌ من العيش المُوسّع في اغتراب
وقال جالينوس: يتروح الليل بنسيم أهله كما تنقوت الحبة ببيل المطر إذا
أصاب الأرض. وقال أفلاطن: غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها. وقال: يداوى
كل عليل بمقايير أرضه فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها وتنزع إلى غذائها. وقلنا:
ليس الإنسان أنفع بشيء منه بوطنه لأنه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذم من
كل شيء كرهه إلا من وطنه وإن كان ردىء التربة كرهه الغذاء ولولا حب الناس
للاوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان، قال الشاعر:

ألا ليت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جمعد
وهل تنفضنَّ الريحُ أفنانَ لمتي على لاحقِ الاطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربتهُ نفحةً من صبا نجد

وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويذرة» بالخاء المعجمة وهو غلط، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه، والخويذرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهل مقل.

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليمي
وما دهرى بحب تراب أرض
وان كانت بواديهما الجدوب
ولكن من يحمل بها حبيب

وقال ابن الرومي :

ولى وطنٌ آليتُ أن لأبيعه
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمة
فقد ألفتُه النفسُ حتى كأنه
وحبَّ أوطانَ الرجالِ إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وقد ضامني فيها اللئيم وغرقي
فان أخطأتني من يمينك نعمة
وقلت في نحو من ذلك :

ثوى في حفرة العانات يمن
وإن تهو البقاع فليس غرواً
تغافل في المنازل والرَّباع
هوى أهل البقاع هوى البقاع
وقال ابن الرومي :

فاذا تصوّر في الضمير وجدته
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظ واتمعل كل شيء ظلّه ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدنا ميلاً وبرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقى
عليها كسائه ويجلس يكتال الريح فكأنّه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رملته كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من الذلّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذلّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثير في التناهي فكان الخيرُ أكثر في التداني

ذَكَرْتُ مَقَامَنَا بِسِرَاةٍ حَزَوِي فَسَرْتُ مَعَ الْوَسَاوِسِ فِي عَنَانٍ
 أَلَا اللَّهُ حَزْمٌ وَاصْطِبَارٌ تَقَاسَمُهُ بَنِيَاتُ الزَّمَانِ
 عَزِيزٌ أَضْمَرْتُهُ نَوَى شَطُونٍ فَظَلَّ مِنَ الْمَهَانَةِ فِي ضِمَانٍ
 يَنَاطُ إِلَى الْعَزِيزِ إِذَا تَبَوَّى بِمَنْزِلٍ غَرْبَةٍ طَرَفِ الْهَوَانِ
 وَقَالَ آخِرُ : يَحْنُ اللَّيْبُ إِلَى وَطْنِهِ كَمَا يَحْنُ النَّجِيبُ إِلَى عَطْنِهِ . وَقُلْتُ :
 إِذَا أَنَا لَا (١) أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينٍ
 مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ عَنَيْتُ بِخَفْضٍ فِي ذُرَاهُ وَلِسِينٍ
 وَرَوْضَ رَعَاهُ بِالْأَصَائِلِ نَاطِرِي وَغَصَنَ ثَنَاهُ بِالْفَسَادَةِ يَمِينِي
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوْلَى :

سُرِّرْتُ بِجَمْعِهِ وَالْقَرَبِ مِنْهُ كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْأَيَابِ
 كَمَطُورٍ - بِلَدَّتِهِ فَاضْحَى غَنِيًّا عَنْ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكُنْتُ فِيهِمْ كَمَطُورٍ بِلَدَّتِهِ فَسَرَّ أَنْ جَمَعَ الْإِطْوَانَ وَالْمَطَرَا
 وَفَضَّلَ بَعْضُهُمُ السَّفَرَ عَلَى الْمَقَامِ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
 مِنْكُمْ مَرَضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ فَقَسَمَ الْحَاجَاتِ فَجَعَلَ أَكْثَرَهَا
 فِي الْبُعْدِ ، وَقَالَ تَعَالَى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قَالَ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْعُومِ وَلَمْ يَخْصُ أَرْضًا
 دُونَ أَرْضٍ وَلَا قَرَبًا دُونَ بَعْدٍ ، وَيُنْشَدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مَخْلُقٌ لَدِيَّاجَتِيهِ فَاغْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ
 فَانِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَذِلَّتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
 وَقَالَ (٢) فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالطَّلَبِ وَالتَّزْهِيدِ فِي الْمَقَامِ وَالِدَعَةِ : الرَّاحَةُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَمْ » وَبَصَحَ « لَمْ أَشْتَقْ لِأَرْضٍ » . (٢) كَذَا .

عقله والبركات في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويناء يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التَّوَانِي أَنْكَبَ الْعَجَزَ بَنَتَهُ وَسَاقَ إِلَيْهَا حِينَ أَنْكَبَهَا مَهْرًا

فَرَأَتْهَا وَطِيئًا ثُمَّ قَالَ لَهَا أَنْكِ فَقُصِّرَا كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تُلِدَ الْفَقْرَا

وقال نهيك بن أساف :

أُمُّ نُهَيْكٍ إِرْفَعِي الطَّرْفَ صَادِقًا ^(١) وَلَا تَيَأْسِي أَنْ يَثْرَى الدَّهْرُ بِأَنْسٍ

سَيَفْنِيكَ سَعْيِي ^(٢) فِي الْبِلَادِ وَغُرْبِي ^(٣) وَبَعْلُ النِّسَاءِ لَمْ تَحْظَ فِي الْبَيْتِ ^(٤) جَالِسٍ

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْدٍ عن أَبِي حَاتِمٍ عن الْأَصْمَعِيِّ قَالَ قَالَ أَوْكَيْمُ بْنُ

صَيْفِي : مَا يُوَدِّنِي أَنِّي مَكْفَى وَأَنِّي أَسْمَنْتُ وَأَلَيْتُ ، قِيلَ وَلَمْ ذَاكَ قَالَ مَخَافَةَ عَادَةِ الْعَجَزِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ « سَافِرُوا تَغْنَمُوا » ^(٥) وَقَالَ الشَّاعِرُ وَذَمَّ طَوْلَ الضُّجْعَةِ :

فَإِنَّ تَأْتِيَانِي بِالشِّتَاءِ وَتَلْمَسَا مَكَانَ فَرَاشِي فَهُوَ بِاللَّيْلِ بَارِدٌ

وَقَالَ آخَرُ : أَبْيَضَ بِسَامٍ يَرُودُ مُضْجَعَهُ وَاللَّقْمَةُ الْفَرْدُ مَرَارًا تُشْبِعُهُ

وقال الخطيئة بهجو القعود والراحة :

دَعِ الْمُسْكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيئَتِهَا وَاقْعِدْ فَانْكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَامِي

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ :

وَقَدْ سَأَلْتُ فَمَا أُعْطِيتُ مَرْغَبَةً وَكَانَ حَقِّي أَنْ أُعْطِيَ وَلَمْ أُسَلِّ

أُرْمِي بظني ولا أعدو ^(٦) لخطاء به فاعجب لاختطائي راي من بني نعل

أسير إذ كنت في طول المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مرنحلي

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأيتنق الذمل

(١) في الأغاني (صاعدا) . (٢) في الأغاني (سيري) . (٣) في الأغاني

(ومطلبي) . (٤) في الأغاني (في الحى) . (٥) روى هذا الحديث بأنماظ

مختلفة وزيادات لأحمد والطبراني والحاكم وغيرهم .

(٦) في ديوان البُحْتَرِيِّ « فما أعدو » .

ولا تقبل أمم شئ ولا فرق ^(١) فلا أرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعشى : * * * وكم من رد أهله لم يرم * * * والاول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً قليل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت مزالا بجران تماوى كلابها
فقد خبر الركبان أن جديده تباح ورغفانا شباعاً رغائبها
وماء فرات ما شتهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شرايبها
فأقسم لا ابتاع رُغفان خالد بأرواح نجيد ما أقام ترايبها
إذا باحت بالمرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحايبها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بُعَايْنِي نَمِر كُنْتُ كَثِيراً ما آتَيْهِمْ فَلَما أَعْدَم أن أَلْقَى مِنْهُمْ
الفَصِيحَ فَجِئْتُ يَوْماً إِلَيْهِمْ فِي عَقَبٍ مَطَرٍ فَإِذَا شَابٌ جَمِيلٌ قَدْ نَهَكَهُ الْمَرَضُ فَلَيْسَ
بِهِ حَرَاكٌ وَإِذَا هُوَ يَنْشُدُ :

ألا ياسني برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمت اقتداء الطرف والقوم هجج فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامري كلم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات بهم
قال فقلت ان فيما بك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

وقال عبد الله بن محمد القعسي :

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلةٌ بسلع ولم تعلقْ على دروبٍ
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه حصان امام المقربات جنيب
يحول^(١) السراب الطلح يدي ويينه فييدو لعيني تارةً ويغيب
فاني لأرعى النجم حتى كأني على كلِّ نجم في السماء رقيبٌ
وأشتاقُ للبرقِ اليماني إذا بدا وأزدادُ شوقاً إن تهبَّ جنوب
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياءُ وأنتي أرى الناس قد أغروا بعيب صبا الكهل
مسيرى مع الفتيان في طلق الهوى أبارى مطاياهم على سلسلِ رسلِ
فلم يبقَ من تلك^(٢) اللذازة عندهم وعندى غيرُ الذِكر للعهدِ والأهل
وقال أعرابي :

أُغترباً أصبحتَ في رَأْمِهْزُمِزْ ألا كل كميِّ هناك غريبٌ
إذا راح كعبٌ مصعداً أنَّ قلبه مع الرَّاحمين المصعدين جنيبٌ
وإنَّ الكتيبَ الفردَ من أيمن الحمى ليحلو بسمعي ذكره ويطيبُ
تفوقتُ ذرات الصبا في ظلاله إلى أن أتاني بالفظام مشيبُ
إذا هبَّ علوىُّ الرياح استمالني كأني لعلوىُّ الرياح نسيبُ
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاءُ عليك أمراً فليس يحله غيرُ القضاءِ
فمالك قد أقمتَ بدار ذُلٍّ ودارُ العزِّ واسعة القضاءِ
تبلغُ بالكفاف فكلُّ شيءٍ من الدنيا يؤولُ إلى انقضاءِ
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رضيتُ من السلامة بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحرى :

وكانَ رجائى أن أؤوبَ مَمْلُكاً فصارَ رجائى أن أؤوبَ سليماً

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أنخ^٢ لى كأيام الحياةِ أخاؤه تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةً فهجرته دعتنى إليه خلةً لأعيبها

وقال البحرى :

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا إلى كلِّ غضبانٍ على الدهرِ عاتبِ
وجئتُ كما جاء السحاب^(٢) محرّاً يدبك بأخلافٍ اتقى بالسحابِ
فعدتُ بك الأيامُ وهى كواكب^(٣) جلا الدهرُ منها عن حدود الكواكبِ
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همّتى إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتبِ
فياخيرَ مصحوبٍ إذا أنا لم أقم^٥ بشرك فاعلم أننى شرُّ صاحبِ
وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهى بمائه
بلوت رجالاً بعده فى إخوانهم فما ازددت إلا رغبة فى إخوانه

وقال دعل بن علي :

أنخ^٦ لى عاداه الزمانُ فأصبحتُ مذمّةً فيما لديه المطالبُ
متى متذوّقه التجاربُ صاحباً من الناس رده اليك التجاربُ

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحرى (الربيع) .

(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هب الزمان باذره هباً
لما رآني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب
بطي العهد ما استغنيت عنه وطلاّع عليك مع الخطوب
والبيت الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *
ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسد ضار إذا هيجه وأب بر إذا ما قلرا
يعرف الأبعد إن أترى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا
وقال أيضا :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين اخوانه مال
رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضا :

بدا حين أترى باخوانه فقلل عنهم شباه العدم
وذكره الحزم غب الأمور فبادر قبل انتقال النعم
ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصت حتى شخص عقلي فصار
عديلك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرها حتى تستقر
النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحن في غفلات عيش^(١) كأن الدهر منها في وثاق
وأياماً لنا وله^(٢) لدا أنا عريناً^(٣) في حواشيها الرقاق
وفي هذا الموضع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عرييا»

أَيَّامُنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مُوَاعِبًا وَكُنْتُ بِسَعْفِ الْحَبِيبِ حَبَائِبًا
سَفَرْتُ مُتَجِدِّدًا لِمَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْإِيَّامِ إِلَّا غُرَابًا
وَقُلْتُ فِي فَضْلِ الصَّدِيقِ عَلَى الْقَرِيبِ :

رَأَيْتُ بِالْوَدِّ عَنِ الْقَرِيبِ غَنًى وَلَيْسَ بِالْقَرِيبِ عَنِ الْوَدِّ غَنًى
وَصَاحِبِ الْوَدِّ^(١) مُحْسَمٌ مُنْتَضًى يَزِينُ فِي السَّلَامِ وَيَكْنِي فِي الْوَعْنَى
وَقُلْتُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ :

لَيْسَ حَدُّ الْحَسَامِ أَكْنَى وَأَغْنَى مِنْ أَخٍ ذِي كَفَايَةٍ وَغَنَاءٍ
وَأَخُ الْمَرْءِ عَصَمَةٌ فِي بَلَاءٍ بِعَثَرِهِ وَزِينَةٍ فِي الرَّخَاءِ
وَقَالَ شَيْبِ بْنِ الْبَرَصَاءِ :

إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَالَهُ بِأَرْضِ الْأَعْدَى بَعْضُ أَلْوَانِهَا الرِّبْدُ
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْأَغْضَاءِ عَنِ الْأَخِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلَهُ عَلَى شَعْتِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَمَشَّ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَخَاكَ فَانَهُ مُقَارَفُ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مُرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَلَمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِبْسَ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ فَلَرَبِّ مُفْتَضِّحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا ظَلْتُ أَخْصُصُ عَنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا ذَمْتُ عَوَاقِبَ الْفَحْصِ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمِنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نَبَلًا أَنْ مُتَعَدَّ مُعَاتِبُهُ
وَكُتِبَ الصَّاحِبُ فِي فَصْلِ : وَتَمَثَّلْتُ لِي أَخْلَاقُكَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمْ يَسْلَسِ الْمَاءُ
وَلَمْ يَرْقِ الْهَوَاءُ وَلَمْ تَرَعْ الْحَقُّو^١ وَالذَّمُّ وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ أَخْلَاقُ^٢ جَدِّهِ غَيْرِ

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملل
ان ذاك الصدود من غير مجرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا عدمناكم على كل حال

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاء
ترى يضرك أن لو يكون منك وفاء
لا تبلنا بصدود إن الصدود بلاء
بل مالنا منك بد فاصنع بنا ماتشاً

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبتَهُ إني وإن كنت لألقاه ألقاهُ
الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً ونائلاً وعوناً على عماية أمر بكيدها
له نعم عندي ضعفت بشكرها على أنه في كل يوم يزيدُها
تحمل عني شكرها فأراخي وللشكر مرقاة كؤود صمودها
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتنا . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فخطب عند بني أمية ، قال له الوليد الأعمى : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال باني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهدِهِ وفي دون ما أوليت ما اجتهد الشكر
ومن ملبح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تحرُّقي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقي
فلا غفرنَّ له الكثيرُ من الذنوبِ السَّبقِ
حتى جنَّيته بما فعلَ المشيب بمفرق

﴿ في ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلفٍ كجلدٍ الأجر
وضمَّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأنتي حاولتُ تنفَ الشعرِ من آناهم
قم فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّي ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهم
وأنشدنا أبو القسم عن المُقدِّى عن أبي جعفر لأبي الشيص :

وصاحب كان لى وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشى بهما قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكنى
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظرُ منْ عيني ويرمى بساعدي ویدی
وكانَ لی مؤنساً وكنْتُ له لیس بنا حاجةً الى أحدٍ
حتى إذا استرفدتْ یدی یدَه كنت كمسترفدٍ یدَ الأسد

ومن جيد ما قيل في ذی الوجهین :

تعاشرنی ضحکاً كأنک ناصحٌ وعینک مُبْدی أنَّ قلبک لی دوی
لسانک لی شهيدٌ وقلْبک علقمٌ وشُرکُ مبسوطٌ وخیرک ملتوی
أراک إذا لم أهُو شیئاً هویته ولستَ لما أهوی من الشیء بالهوی
عدوُّک یخشی صوتی إنْ لقیته وأنتَ عدوِّی لیس ذاک بمستوی
وكم موطن لولای طحتَ کما هوی باجرامه من قُلة النیقِ مُنْهوی
کأنک ان قیل ابنُ عمک غانمٌ شج أو عمیدٌ أو أخو مغلة جوی
بدا منک غشٌّ طالما قد کتمته کما کتمت داءَ ابنها أم مُدْوی
وقریبٌ من ذلک ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولی قال أخبرنا أبو
ذکوان عن الریاشی قال سمعت أبا عبیده یقول دخل رجلٌ السکوفةَ فنزل بآل
عطارٍ فلم یضیفوه ورأى لهم أبنیةً طالیه فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدُّور حتی كأنها جبال وما شدی بخیر شعابها
فلیسوا بفتیان الساحة والنَّدی والکن فتیاناً تسوی ثيابها
فقد أصبحتُ أضيافُ آلِ عطارٍ خاصاً مطایها خفافاً عابها
ومن ذلک قول الشاعر :

لعمری لقد أعطیت بُرداً وحلةً وعراک من ثوب الساحة سالبه
فما یلک من خیرٍ فما تستطیعہ وما یلک من شرٍّ فانک صاحبه
وقال یزید المهلبی :

فاذا غنیت فکلهم لی خاتلٌ واذا افتقرت فکلهم لی جافی
وما أکثر أحدٌ فی ذم الزمان اکثار ابراهیم بن العباس فمن جید قوله :

كَمْ أَخْ كَانَ مِنِّي فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ جَفَانِي جَفَانِي
 مُسْتَعِدٌّ لِي بِسَهْمٍ فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ رَمَانِي رَمَانِي
 وَقَالَ غَيْرُهُ : إِحْذَرْ مُودَّةَ مَا ذِيقِ شَابَ الْمَرَارَةِ بِالْخِلَاوَةِ
 يُبْحِصِي الْعُيُوبَ عَلَيْكَ إِيْسَامَ الصَّدَاقَةِ لِلْعِدَاوَةِ
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

بَلَوْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانِ وَكُلُّ بُلُومٍ وَذِمٌّ حَقِيقٌ
 فَأَوْحَشَنِي مِنْ صَدِيقِ الزَّمَانِ وَأَنْسَنِي بِالْعَدُوِّ الصَّدِيقِ
 وَقَوْلُهُ : أَخْ كُنْتُ أَوَى مِنْهُ عِنْدَ أَدَّكَرِهِ إِلَى ظَلِّ آبَاءٍ مِنَ الْعَزِّ بِادْخِ
 سَمِعْتُ نَوْبَ الْإِيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَقْلَعَنْ مَنَا عِنَ ظُلُومٍ وَصَارِخِ
 وَإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا كَلَّمْتُمْسَ إِطْفَاءَ نَارٍ بِنَافِخِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْجُمْفَرِيِّينَ :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ أَفْسَدَ النَّاسُ
 فَلَا يَفْرَنْكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يُرْكَبُ الدَّيْرُ الدَّامِي بِاحْلَاسِ
 قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ :

وَقَدْ يَنْبِتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
 قَالُوا يَعْنِي الرَّجُلُ يَظْهَرُ لَكَ الْوَدَّ وَيَضْمُرُ خِلَافَهُ كَالنَّبَاتِ الْحَسَنِ يَنْبِتُ عَلَى
 الْقَنْدَرِ فَيَصِيرُ رَائِقَ الظَّاهِرِ خَبِيثَ الْبَاطِنِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : الدَّمْنَةُ حَيْثُ تُنْزَلُ
 الْأَبْلُ فَنَدَمْنُ بِالْأَبْوَالِ وَالْأَبْعَارِ فَلَا تُنْبِتُ شَيْئًا فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ الْعَهْدُ وَسَقَمَتْهُ الرِّيحُ
 وَأَصَابَتْهُ السَّمَاءُ نَبَتَ بَعْدَ حِينٍ ، فَيَقُولُ قَدْ يَنْبِتُ ذَاكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَنْبِتُ وَيَتَغَيَّرُ
 بِالنَّبَاتِ وَتَبْقَى حَزَازَاتُ الْقُلُوبِ لَا تَتَغَيَّرُ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ أَلْفَاظَ
 الْبَيْتِ تَقْتَضِيهِ وَالْأَوَّلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَقْتَضَاهَا .

وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ فِي ذِمِّ الْأَخْوَانِ فَأَجَادَ :
 تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ إِلَّا عُصْبِيَّةً سَتَلْحَقُ بِالْآخِرَى غَدًا وَتَحْمُولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناسِ سبَّةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ^(١)
ومن ذا الذي يبقى ^(٢) على الدهر منهم
وصرنا نرى أن المثاركَ محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبٍ
وقلت : إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كانَ التقاربُ ليس مُجدي
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لُحَكَّ البصري لنفسه يذم الزمان :

يا زماناً ألبسَ الاحـرارَ ذلاً ومهانَةً

لست عندي زمان إنما أنت زمانة

وقلت : زمانٌ كثوب الغول فيه تلوُّنٌ
وقال آخر في خلاف ذلك :

أرى مُحللاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ

يقولون الزَّمانُ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزَّمانُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد :

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالى بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم :

متى ما تفكر في الزَّمانِ وأهلِهِ تقل لاعب هذا وليس بلاعبِ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله » . (٢) في الديوان « وإن الذي يبقى » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدلَ هذا الدهرَ فيما رَجَوْتَهُ على أنه فيما أحاذره نَدَبُ
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :
لا تمجِّبُكَ عِمامتي فالفقرُ من تحتِ العِمامةِ
والفقرُ في زمنِ الثَّنا لم لكلِّ ذى كرمِ علامه
وقلت في قريب منه :

وليسَ ينفكُّ كِشخانٌ يجاذبنا علامةُ الحرِّ أن يبلَى بكِشخان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

ربُّ قد ضاقت النفوسُ سِوِيَّ وقد قَلَّتِ الحِيلُ
فلكَ لا يدورُ إلا بما تشتهي السفلى

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرْنَ كلها عجائبٌ حتى ليسَ فيها عجائبُ
ومن عادةِ الأيامِ أنْ تُصروفاً إذا سرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذي بصروفِ الدهرِ عَيَّرنا هل طاندَ الدهرُ إلا من له خُطْرُ
فإنْ تكنْ نَشِبَتْ أَيْدِي الزمانِ بنا ومُسِّنّا من تَمَادَى بُؤْسِهِ ضَرُرُ
ففي السَّماِ نجومٌ غيرُ ذِي عَدَدٍ^(١) وليسَ يَكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ والقَمَرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جِيفُ وتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَمَرِهِ الدَّرَرُ
وقريبٌ من هذا ما قلته :

إن كنتَ نَسَلِمَ من شَغَبِ الزمانِ ولا أعطى السلامةَ منه كلُّما شَغَبَا
فالمَاصِفاتُ إذا مرَّتْ على شَجَرٍ حَطَمَنهُ وَتَرَكَ البَقْلَ والعِشْبَا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لا أعداد لها » .

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتُ حالي حقوقهمُ غنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم متى
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوى ^(١) :

لِيَ خَمْسُونَ صَدِيقًا بَيْنَ قَاضٍ وَأَمِيرٍ
لَبَسُوا الْوَفَرَ فَلَمْ أَخْلَعْ بِهِمْ ثُوبَ الْفَقِيرِ
كَلِّمْهُمْ كَلَّ لِيَ الْحَرُ مَا نَ الْبَصَاعِ الْكَبِيرِ
ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سَأَلْتُ قَفِيزِينَ مِنْ حَنْطَةٍ فَجَدْتُ بَكْرًا مِنَ الْمَنَعِ وَافِي
وقد تقدم . وقلت :

أَلَيْسَ صَعْبًا أَنْ تَرَى كَاشِحًا مَالِكٌ يَدٌ مِنْ مَدَارَاتِهِ
أَصْبَحْتَ فِي دَارِ إِسَاءَاتِهِ أَعْدَادُ أَنْفَاسِي وَسَاعَاتِهِ
وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري ^(٢) :

لَيْتَكَ أَدَّبْتَنِي بِوَاحِدَةٍ تَقْنَعُنِي مِنْكَ آخِرَ الْأَيِّدِ
تَحْلِفُ لِي لَا تَبْرُنِي ^(٣) أَبَدًا فَانَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَشْفَ فَوَادِي مَنِي فَانَّ بِهِ عَلَى قَرْحًا ^(٤) نَكَاتِهِ يَدِي
أَنْ كَانَ رَزَقِي إِلَيْكَ فَارَمَ بِهِ فِي نَظَرِي حَيَّةٍ عَلَى رَصْدِ
فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ لَا أَصِيبُ وَلَا تَهَضَّتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَدَدِ

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجملوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لا تبرني » .

(٤) في الأغاني (منى جرحاً نكاته) .

لو كنت مُحرراً كما زعمت وقد
لكنني مُعدتُ ثم مُعدت فان
قد صرت من سوء ما بليت به
وقلت: العين تذرف والفؤاد يذوبُ
ولقلة الكرماء أنت مُضَيِّعٌ
تالله لم تخطئك أسباب الغنى
فاصبر فقد غزّاك عن درك الغنى
طابوا قطوبى ان تعذرَ مطلبي
وشحوب جسمى من مواصلة السرى
واقعد يَدُلُّ على كمال كرامتى
ولقد جلا حزنى وفرّج كربى
لا تلعبنَّ فمن ورائك طالبٌ
وقال أبو تمام :

هب من له شيءٌ يُريدُ حجابَهُ
ما زال وسواسى لقلبي خادما
ما ان سمعتُ ولا أرانى سامعاً
ما كنت أدرى لادريت بأنه

ما بال لاشيء عليه حجابُ
حتى رجا مطراً وليس سحاب
يوماً بصحراء عليها باب
يجرى بأفنية البيوتِ مراب

﴿ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز ﴾

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
فى حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
القدرة ؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تبحرها لم تتجاذب الأنفُس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعمم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فإني سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك السكرام . بصطاحون بها محامد الاخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان لجلسائه إني أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة الخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر غنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرني عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألحق معروفه عندي بالوعد ونتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتهمد وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء في الحث على الانجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المغفل قال شكرا رجل جمع بين يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بني أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقه وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لذهمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن نقيته فأنجذ الوعد وإلا فقصر القول فإنه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهى بالوعد أن يشر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نَوْمُ أبا الحسين وكان قدما فتي أعمارُ موعدة قصار
 تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
 ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأميين :
 فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالمهدِ
 أعيذك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
 فالى شفيعٍ عندَ حُسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ
 أبيضلُ فرد الحسن فرد صفاته على وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فما كهُ والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا انى
 نويت العفو عنه وجملت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد في
 تشبيهه فذكر نيه . وما أحسن ما قاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحة على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زهير في قوله :
 تراه إذا ماجتته مُتهللاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجتته » « إذا ماسأته » لكان أجود .
 ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس :

بشرهم قبل النوالِ اللاحقِ كالبرقِ يبدو قبل جودِ دافقِ
والغيثِ يخفى وقعه المرامقِ إن لم يجده بدليلِ البارقِ
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأملُ البعيدَ يبشره بُشرى الخيلة بالغيثِ ^(١) المفقودِ
وكذا السحائبُ قلما تدعو الى معروفها الرُّؤادِ ما لم تبرقِ
وتبعه البحرى فقال :

كانت بشاشتكَ الأولى التى بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالزينة استؤنفت أوى خيلتها ثم استهلّت بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحرى وقعت دون أبى تمام فى هذا المعنى
فقال لعمرى واسكن سارضيك فيه فقال فى أبى الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد ^(٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأن بوارقا فى عارضٍ إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكأنه قال إلا ثنين مواطرًا ثم رده فقال :
إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعقب بذلاً فروضةٌ وغديرٌ
وقال البحرى :

ملكٌ عنده على كلِّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأننا من وعده ونداء أبدأ بين روضة وغدير
وقال : ضحككت فى إثرهنّ العطايا وبروق السحاب قبل رُعوده
وله أيضاً :

مُتهلِّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل
كالزن إن سطعت لوامعُ برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

(١) فى ديوان أبى تمام (بالريم). (٢) فى ديوان البحرى (بعوائد).

لست تلاقي سائلاً برّد تميد بشر سوّدد وتبدي
كالبرق يأنيك أمام الرّعد بشرى الغيوث بمجباب رغد
يلقى بك الطالب نجم السعد بلغت في الاعمار أقصى العد

(فصل في تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غاط فيه ورسمه :
نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقيل بعلب - نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر ملب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف
مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :
إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقتها مدامعُ حُفْلُ
وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخص الذي كان نزّهة يحصّنه سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكت الستر عنك تعمداً ولست بحمد الله ممن يُجهلُ
رأيتك قد عيت بيتاً رسمته بكلّ خطأ فهو مثلك أحولُ
وكان لمتبول الفؤاد معذبُ أخى حسرة بالهجر والصدّ يُقتلُ
فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كثيراً بالياً يتملّل
إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقتها مدامعُ حُفْلُ
وعى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج حاحم شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين
زعفران نمام سُوسن أفرنجمشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين نمام منشور

خيرى مشورا فحوان زعفران سيسنبر خز امي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كنى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرَّمٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا يعلى أخ لك لم يزل بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أبا ثروة يسخر له بفتيل
كنى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرَّمٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عى عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبل جادا وأنزل غيثاً أغاث البلادا
وأسرج فيه وميضُ البروق مصاييحَ تزهّرُ منه اتقادا
وثج^(١) فما شكّ ذو ناظر رأى سيله أن فيه مرادا
فعمّ بشربوبه سادى وخصّ بأغزر سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار نصرف الزمان إذا ما عادى
فداؤك نفسى وإن سمتنى غنائاً طويلاً حماني الرقادا
أتنتى الطيورُ فساترنى بيت تعمقت فيه عنادا
إلى أن تمكنت من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلت لها غردى بالذى كتمت فأسرعن نحوى انقيادا
وأشدت بيتاً معادَ الفصول ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلّ قلّ ومن قلّ ذلّ ومن ساد جاداً ومن جاد سادا
أردت سقاطى فما نلتها فنلت المنى وبلغت المرادا
وأبقاك ربى بقاء النعم عليك وملاك منه وزادا

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعَمَّى :

دمعى على الخلد سكبُ ونارُ شوقى تشبُ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالى إذ مورد العيش عذب
واذ شبابي لدنُ وغصنُ قدى شطب
يا جعفر القوم يامن يدعى اذا جلَّ خطب
فداك عبدُ مشوقُ الى لقاءك صبُ
أبعدتنى وسواءُ بعدُ لدى وقرب
أخلط طيب أتتني منها يبيسُ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
عودُ ومسك ذكي وعنبرُ مستحبُ
أوردتها نار فكرى ففاح شرقُ وغرب
وهبُ للفهم منها روائحُ لا تهبُ
فقلت بالشَّمِّ مالم ينله عجمُ وعرب
بيتا كما اهتز روضُ أو أكل الوشى عصب
شيبُ وسنُ وجهل هذا لعمر ك صعب
بجعفرٍ وأخيه نال الورى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلُ بالهيج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُددَ للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
ليثُ إذا عضَّ دهر غيثُ إذا اشتدَّ جذب
لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجمع كل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فاذا

مضت الكلمة تدوير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثير في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل واليـث وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة الفريضة وشدة الذكاء والفتنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظه أباً الحسن العروضي أنه مسمى له قول الشاعر :

وكن ذا كراً بيت النوبيغ إنه سيحلو على سمع اللبيب وبمذب

فمكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر .
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النوبيغ) وفي قوله (اللييب) فلما بصحت الألف
واللام رأيت اللام قد تكررت فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل اللييب واللطف
وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والياء فيهما وبقي الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت ويبد ويبدش
وييض ويبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة واو فلما صح (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وان الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وإن الثانية « ذا كراً » لأن الذال ظهرت في
يعذب والألف معروفة والكاف قد بانّت من الكلمة الأولى والألف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يحىء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجدها فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللغين فقط فلم أدر ماهو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتصاً وكنت أشكو اليه ضيق يدي
أحصت ألوفاً يسراً أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفى هذا المعنى شيء كثير هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفرته تحمر أطرافه يأحسنه من مطرف معلم
صدره الانسان في بيته وهو مهان ليس بالمكرم
والمرء قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يائمه
وهو على ما كان من ذلة مسى باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصار قيام
وقات: وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميت غيبوا في الأرض جثته عمدالكي بمجلوا الأحياء أمواتا
الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورى
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤلؤة منك قد ثقبناها
وكرمة من أليك منبتها حتى اذا أينعت قطفناها
تخبرنا ماهما وما سبيل تشعبت منك قد سلكناها

لم نَمش فيها ريثاً ولا عَجلاً ولم نَطأها وقيد وطئناها
فان تصبها فأنت ذو فطنٍ وحاجتي أن تصيب معناها
فقال أيها الأميرُ انه كلامٌ ردى أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فالأخت وأما السُّبُلُ التي تشعبت
فالألم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخرُ يدُكَ دعوة يدعو بها على رجل:
وسارية لم تسر في الأرضِ تبتغي محلاً ولم يقطع بها البیدَ قاطعُ
سرت حيث لم تسرِ الركاب ولم تمنح لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكرّ وراء الليلِ والليلِ مظلم إذا قرع الأبوابَ منهم قارعُ
إذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامعُ
واني لأرجو الله حتى كأني أرى بجميل الظنّ ما الله صانعُ
﴿ أحسن ما قيل في تقويل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
الباہلى عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقنا العدو
فخاص الناس حيصة^(١) فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
ننظر في وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
نخرج فلا يرانا أحدهم فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون. قال « بل أنتم السكرارون »
فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
﴿إِلَّا مُتَحَرِّراً أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضِبِ مِنَ اللَّهِ﴾.
وباسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبى مسلم فقال له رجل أنقبل يد أبى مسلم ؟
قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر ؟ قال أو تجمل أبا مسلم مثل عمر ؟ قال أو تجملنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي قال قبل رجل يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المسكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلي الصدق شعبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أوسوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولى لبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثل
فبسطتها للغنى وسطوتها للأجل
وباطنها للندى وظاهرها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت هزيلة
فامدد إلى يدٍ نعوذ بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلة
وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركنٌ مقبلٌ وباطنها عينٌ من الجود عيلم
هو البحر لا عينٌ من الجود عيلم عفاء على عين من الجود عيلم
يجل عن تقبيل ظاهر كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن الغلابي عن العتيبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال إنها لمن العربي ذلة ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعقني من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن إبراهيم بن عبد الله النمرى عن الضحالك بن مخلد عن ابن عجلان عن المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إنما

جاء أحدكم المجلسَ فليسلم فإن قام والقومُ جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحقَّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء فلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الرد عليك إلا أنني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليَّ فانك إن تفعل لأردُّ عليك السلام» وعنه عليه السلام «تمامُ التحية أخذٌ باليد» وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن الفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسم

سلام الآله وريحانه وروح المصلين والصائم

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلام تحية الموتى » قال المصنف تقول

العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدنك الله ميتاً فانما حياة الفتي سيراً الى الموتِ قاصدٌ

وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن

السكناني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر

فأنت المهدَّبُ من هاشمٍ وخير قریش إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه

وهما مسكتان للرأية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين

يُطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء » كما في جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر مما تستعمل هذه الاموات وقد أمكنك أن تقول * سلام * عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
فهذي ثيابي قد أخلقت وقد عضني زمن منكر
فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله يعيش قال بلا قال فما وجه الإنكار على عافك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالاشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصار تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف كان يرد عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيور
وما كنت أدري أن في الطيرية ولا أن رجماً بالسلام يضير

﴿ ما جاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن أسحق ابن إبراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن إبراهيم بن عبيد بن رفاهة عن ابن (٢٨ - ثاني المعاني)

أبي ليلي عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ أحدهُهما صاحِبَه تَنَافَرَتِ الخَطَايا بينهما كما يَتَنافَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصاحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قَبَّلَ يده إلا اسحق بن اسرائيل فإنه قال يا أمير المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يُقبَل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة ومعنى بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصاحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :
تصاغت الأَكفُ وكان أشهى إلينا لو تصاغت الخدودُ
نموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصاغت من لا قيت في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافح
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّت بنا ممسوطَةً كوراً على بغل
قد نقطت في كفها نقطةً مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصاغت فقل دع كفى وخذ رجلى

﴿ حياك الله وبياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتمحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتمحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبهاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأحرى أرادوا بؤاك منزلاً فقال بياك الاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتجنية وبيدت الشيء قصده
 واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيّاكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجبُ
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهبُ
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحِبُّ أكثر ما يأتى على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا الآله خيالها من دانٍ لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كانَ عَرَجَ أو تَعَلَّلَ ساعةً حتى نَسأَلُهُ عن الأوطان
 كفانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ لَهْذَبَ هَشٍّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكهولِ وحلهم وتقاها وحلاوةَ الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاك من لم تكن ترجو تحيتهُ لولا الدراهمُ ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون يا ابن الأكرمين حسبا لما ترحلتَ وكنتَ كُتبا
 من أرضِ بغدادِ تؤمُّ المغرِبا طابتْ لنا ريحُ الجنوبِ والصبا

ونزل الغيثُ لنا حتى ربا ما كان من نشرٍ وما تصوبا
فرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى القرنينِ فى الدولتينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى المختدينِ فى المصرينِ

مرحبا مرحبا بمن كفه البحرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديما ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى ^(١) :

وباسهل ميمون النقيمة قوله للتمس المعروف أهلٌ ومرحبٌ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن

الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا

وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسمتُ إذا أنتَ لم تخطُ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنَتَ لا يباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت

قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توسل إلينا بنا وشكر إحساننا إلينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جرى برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل
بجملة تغنى عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدني ثعلب :
فإلك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام
وقلت : تضنُّ بتسليم وزورة ساعة فكيف يُرجى جودُ كفيك بالوفر
وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بنى هاشم قال أنشدني عبد السلام
ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلتُ له بأبي من ليس يعرفُ غيره أربي
قرطستُ عشرًا في مودته لبلوغ ما أملتُ من طلي
ولقد أراني لومددتُ يدي شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحرَّكتِ العود د بمضربها ففغنتُ وغنى
ليتني كنتُ ظهرَ عودك يوماً فإذا ما أخذته صرتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالتُ من بهذا أنباك في النوم عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليك أن أتمنى

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي
فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .
فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن
عمر قال قيل لرجل من قریش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه
ويستقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ما حال من آفته بقاؤه نغصَ عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألت به كيف حاله
يا قريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صدوده حين يرحى وصاله
مسعدٌ لي مقالته فأنك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

﴿ ماجاء في أطلال الله بقاءك ﴾

أول من قاله عمر رضي الله عنه - روى عن رفاعه بن رافع قال شهدت نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن كرون المؤودة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطلال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فينثد إذا دُفنت فقد وُثِدَت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلي بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطلال الله بقاءك كما أطلال جفاك وجعلني فداك إن كان في فداؤك - شعر :

كُتبت ولو قدرتُ هوَى وشوقاً اليك لكنتُ سطرّاً في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبي تمام .

﴿ جعلت فداك ﴾

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما يعمدك جعلني الله فداك فقال

الذي ﷺ « يازبير أمارت أعرابيتك بعد » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن إسحق قال حججني خادم الجعفر بن يحيى يقال له نافذ فاقطعت عنه فسأل عن فعره سبب انقطاعي فقال قل له إن حججك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فحججت فحججني فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

مُجِعتُ فداءك من كلِّ سوءٍ إلى مُحسنٍ رأيك أشكو أنا ساءاً
يحولون بيني وبين الدُّخولِ فما أن أسلم إلا اختلاسا
وأفندتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعلت يا أبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم
إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتبة ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول
الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كسر في أخيه صقر :
أخى أنت في دينٍ ودُنْيا كلالهما أُسْرُ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر
ف قيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
قائله . فأما قولهم (وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ) فهو من قول عدي بن الرقاع :
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى أَمْرِي، وَدَعَتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
قالوا وأول من قال « وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ » إسحق بن سليمان بن علي .
وأنشد للسري في ضدّ قولهم مُتَّ قبلك وإن الحظَّ عنده أن يكون هو ومن
يحبُّ يموتان في وقت واحد :

لأُمِّتْ قبلك يا أخى لا باخلا بالنفسِ عنك ولا تمتْ قبلي
وبقيتَ لي وبقيتُ فيك مُمْتَعاً بالبرِّ والنعماء والفضل

حتى إذا قصد الحمام لنا
متنا جميعاً لا يؤخرُ واحد
من بعدِ مُعمرٍ واردِ الجبل
عن واحدٍ لمرارةِ الشكل
وكفالك من نفسى شهيدٌ ناطقٌ
وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها
وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حمامها
فخلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً
أُحْكَمُ في أمرى لشاطرتها عرى
فماتت ولا أدري ومتٌ ولا تدري
وقريب منه قول الآخر :

لامتٌ من قبلى ولا مُتٌ من
حتى نوا في الموت في ساعةٍ
قبلك بل عشنا الى الحشرِ
لأنتَ تدري بي ولا أدري

﴿ كيف أصبحت ﴾

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ،
وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك
كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ،
وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقولُ صبحتك الأُنعة
بطيبات الأُطعمة . وحدثنا عنه عن البلعمى عن أبي حاتم عن الأُصمى قال قيل
لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزارى :
أصبحتُ لأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفراً
والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا
وحدثنا عنه عن أبى ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقال له رجلٌ كيف أصبحت ؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طافيل القشيري ^(١) :

أصبحتُ مالى من عزِّ ألوذ به إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
بعرصة جانب الأذنون جانبها والأهل بالشام والاخوان باليمن
وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبى زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُثبتُ الودَّ في فؤادِ الكريم
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسين
ابن الضحَّاك الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فجمعت فأجد موسى وقد
لبس جبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ يا أبا عمران يا كريمَ الاخاء والاخوان
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلت :

إنَّ لى حاجةً فرأيتُ فيها إننا فى قضائها سَيَّان

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

مُجبة من جبابك الخرز حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى
قال خذها ، ومد كفه فذرعتها وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه ؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة الهمداني قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر :

(١) شاعر إسلامي بدوى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وولده قرة بن

هيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالى أسرعُ في نقضى أخذنَ بعضى وتركنَ بعضى

أقعدنى من بعد طول نهضى

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرقعُ من ثوبى ما كنتُ أؤجرُ

وحدثنا عنه عن الفلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تيممة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تيممة ؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله على ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس است لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الديرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير على أنَّ النوى مطمئنةٌ بليلي وأنَّ العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجل لأبي العيَّاء وقد كبر وضعف : كيف

أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يمتناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الفلابي عن إبراهيم عن عمر بن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة ؟ فقال ارتجلاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضى بعضاً أشكو العروقَ الناييات نبضاً

كما تشكى الأرجى الفرضاً كأنما كان شبابى قرصاً

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المأزقُ ومأبى من سقم ومأبى تعشقُ

ولكنَّ أرانى ما أزالُ بمحادثٍ أغادى بمالم يمس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحجاب

لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لَدُنِيَا تَلَاعِبْتُ بِي تَلَاعِبَ المِوَجِ بالغريق
أصَبْتُ فِيهَا دُرِيَهْمَاتٍ فَبَغَضْتَنِي إِلَى الصَّدِيقِ

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسمود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ مسمى الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غمٍ بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العاتية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذا غُرْبَةٍ أدفعُ من همٍّ إلى كَرْبَةٍ
أطلبُ عُتْبِي من حبيب نأى وليسَ لي عُتْبِي ولا عُتْبَةٍ

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجار لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة لي يزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حُرَّائَة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قيص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعةً وأنت في سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشعرة وأفرع من النعرة . وحدثنا عنه
عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدي قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهو ساديةٌ عن مصعب ولقد بانَّت لي الطرق
رعوى عليه كما أروعى علي هرم قبلي زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ
مدحُ الكرام وسعى في مدحهم ثم الغنى وبدُ المدوح منطلقُ
ومثله قول حازم الأزدى (١) :

وإني لأستبقي إذا العسرُ مسني بشاشة وجهي حين تبلى الطبائعُ
فأعفى ثرى قومي ولو شئتُ نولوا إذا ماتشكى الملحفُ المتضارعُ
مخافةً أن أقلِّ إذا جئتُ زاراً وترجعني نحو الرِّجالِ المطامعِ
ومن مליح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقلُّ بذلٍ صلى حسن المقال بحسنِ فعلٍ
أرني منك في أمرى نهوضاً يبين أن شغلك بي كشغلي

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبي
طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيقة لم ير الناس
أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا لردُّوا النواظرَ عن ناظريك
تردِّين أعيننا عن سواك وهل تنظرُ العينُ إلا إليك
ألا يقرؤا ويحهم ما يرون من وحي حسنك في وجنتيك
وقد جعلوك رقيقاً علينا فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حازم بن عوف ، شاعر جاهلي مقلِّ ، مشهور بالمدح .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله واجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه.

(ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر)

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلاً أراد سفرًا فقال « أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وحدثناه عنه
عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجذبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) العجف
نزل الرّحْب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنْب قد سلف
أما أنت ربيع باكرٍ حيثما صرّفه الله انصرف
ياأبا اسحق سرّ في دعةٍ حيثما شئت ^(٤) فامذك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردك الله إلينا سالمًا بعد غم واغترباط وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية

جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجذبت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغانى « الرحم » . (٤) في الأغانى « وامنض مصحوباً » .

﴿الدعاء للقادم من السفر﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطل :

أقدم قدمت قدوم عارض مُزنة بهتز بين أهابها الفضفاض
من كل مشعبة الرياح ثقيلة تمشي به مشى الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكأنها دهم مولوعة الشوى بيباض
وقال ابن الرومي :

قدوم سعادة وقول يمن هى السراء تمحق كل حزن
أظلتك السلامة ما تغنت مطوقة على فن تغنى
قوله (أظلتك السلامة) فى غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿الدعاء للمهزوم﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى عن عوانة
قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بآسك^(١) وكان فى ألفى
رجل ، ومرداس الخارجى فى أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

ألفا مؤمن^(٢) منكم زعتم ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيراً
من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بماتك ،

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرباجان .

(٢) فى معجم البلدان (ألفا مؤمن فيما زعتم ويقتلكم) .

(٣) فى معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك)

قال ودخل على ابن زياد فنغفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولائن يذمنى الأمير جاً خيراً من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قل لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى المهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طاعتك ووسعتك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك يبقائك ولم يخترك علينا باستشهادك فالله الذي زين بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمنا . فعلم الناس كيف يُدعى المهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العطيبي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزميننا
وما ان طبنّا جبنّ ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

﴿ الدعاء للمعزول ﴾

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمعَ الشملِ وراعى المعالي والمحامى عن المجد
وانك صنتَ الامرَ فيما وليتهُ وفرقتَ ما بين الغواية والرُّشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنا فانّ إلى الاضرار ماغاية الورد
وما كنت إلا السيفُ جرداً للوغى وأخذ فيه ثم رُدَّ إلى القمد
وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) فى الأُفانِى (فان تغلب فغلابون قدماً) .

الحزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للمغيرة والوليد
 وقد مر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله
 ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادَةَ البحتري :
 تشهد الخرج إذ توليته أنك في جمعة الأمين الأعف
 حيث لا عند مجتبي منه إظا^(١) ولا في سياق جابه عنف
 سيرة القصد لا الخشونة عنف^(٢) لتعدى المدى^(٣) ولا اللين ضعف
 وعلى حائكك يستصلح الننا س^(٤) أباء من جانبك وعطف
 لن يؤلى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف
 إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف
 فقديمًا تداول العسر والبسر وكل قذى على الريح يطفو
 يفسد الأمر ثم يصلح عن قر^(٥) ب^(٦) والماء كدرة ثم يصفو
 ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :
 أبا إسحق إن تكن الليالي عطفن عليك بالعزل اللثيم
 فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم
 وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدري :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مؤلى قصره الصرف والعزل
 لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
 يروم رجال خطه وهو سابق أبي الله إلا أن يطول وأن يعلو
 (دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لميسي

(١) أي إلحاق . (٢) في الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحتري « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ما قيل في القيام للآجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الله كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلغاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ مافى ذاك عندى غَضاضَةٌ عَلَى وإنى للشريف مُذِلُّ
على أنه منى لغيرك ذِلَّةٌ ولكنه بينى وبينك يَجْمَلُ
ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى .

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدَرنا القياما
فلا تنكرنَّ قيامى له فان الكريم يجلُّ الكراما
وأشدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحتري لأبيه في عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

وُمبجل وسطَ الرِجالِ مُخفوفهم لقيامه وقيامهم لقموده
فاللهُ يكلؤه لنا ويحوطه ويُعزّه ويزيدُ فى تأييده
وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدا لى لأكرمه وأعظمه هشامُ
فلا تعجبُ لاسراعى إليه فانّ لمثلهُ مُخلَقَ القيامِ
وقال البحتري :

يقومونَ من بُعدٍ إذا بصروا به لا بلج موفور الكرامة^(١) أروع
ويتبدّرُ الراؤونَ منه إذا بدا سنى قمرٍ من سُدة الملكِ مطلع
إذا سارَ كفَّ اللحظَ عن كل منظر سواه وغضَّ السمعَ^(٢) عن كل مسمع

(١) فى نسخة « الجلالة » . (٢) فى ديوان البحتري « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

(ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال)

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهر الذي أنا صائمه
وطارت رقاعُ المواعيد بيننا لكي يلتقي مظلوم قوم وظالمه
فان شال شوالٌ مُثِّل في أكفنا كؤوسُ تعادي العقل حين تسالمة
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عند الرقيب نجيبُ
ومن دون مانلقاه من لوعة الهوى تشقُ جيوب بل تشقُ قلوبُ
على ان شوالاً أشال بوصلنا ومرتعهُ للعاشقين خصيل
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقياً لشهر الصوم من شهرٍ عندي له ماشاء من شكرٍ
كم من عزيز فيه فزنا به أنهضهُ الليل من الوكر
ومن إمام كان لي وصلهُ إلى كحيل العين بالسحر
لو كان يدري بالذي خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوتر
وخلة زارتك مشتاقة في ليلةِ القدر على قدر
فانصرف الناس بما أملاوا وبؤت بالآتام والوزر
وأنشد المبرد للحارثي :

شهرُ الصيام وإن عظمت حرمة شهرٍ طويل بطيء السير والحركة
يمشي الهويثا إذا ما رام فرقتنا كأنه بطة تنجر في شبكه
لا يستقر فأما حين يطلبنا فلا سليك يدانيه ولا ساكه^(١)

كَأَنَّهُ طَالِبٌ نَارًا عَلَى فَرَسٍ أَجَدَّ فِي إِثْرِ مُطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ^(١)
بِإِصْطِقَاقٍ مِنْ قَالَ أَيَّامُ مَبَارَكَةٍ إِنْ كَانَ يَكْنَى عَنْ اسْمِ الطَّوْلِ بِالْبَرَكَةِ
وَقَالَ آخِرُ :

مَضَى رَمَضَانُ مُجْهِدًا وَأَوْفَى عَلَيْنَا الْفَطْرُ يُقَدِّمُهُ الشُّرُورُ
وَفِي مَرِّ الشُّهُورِ لَنَا فَنَاءٌ وَنَحْنُ نَحِبُ أَنْ تَفْنَى الشُّهُورُ
وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ كَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ
وَهَبٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ يَوْمَ شَكَ وَقَدْ أَفْطَرَ الْوَائِقَ :

هَزَزْتُكَ لِلصُّبُوحِ وَقَدْ نَهَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصِّيَامِ
وَعِنْدِي مِنْ قَنَانِ الْمَصْرِ عَشْرٌ تَطِيبُ بِهِنَّ دَائِرَةَ الْمَدَامِ
فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابَ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَقُولُ لِصَاحِبِيَّ وَقَدْ بَدَأَ لِي هَلَالُ الْفَطْرِ مِنْ تَحْتِ النِّعَامِ
سَنَسْكُرُ سَكْرَةً شَنْعَاءَ جَهْرًا وَنَنْعُرُ فِي قَفَا شَهْرِ الصِّيَامِ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْجَعْفَرِيِّ :

هَلْ لَكَ فِي صِهْبَاءٍ مَشْمُولَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الدَّبْسِ الَّذِي يَنْبِذُ
فَإِنَّ شَعْبَانَ عَلَى طَيْبِهِ دَرْبٌ إِذَا فَكَّرْتَ لَا يَنْفِذُ
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ :

أَلَا سَقْيَانِي مِنْ مَعْتَقَةِ الْحَرِّ فَلَا عُذْرَ لِي فِي الصَّبْرِ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ
وَإِنْ كُنْتُمَا لَمْ تَعْمَلَا فَعْمَلَا بِأَنْ زَمَانَ الصُّومِ لَيْسَ مِنَ الْعَمْرِ

وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَوْجِ الرَّازِيُّ
وَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ إِلَى أَبِي دَلْفٍ يَسْتَسْقِيهِ نَبِيذًا فِي يَوْمِ عِيدِ الْفَطْرِ
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَا كَفَاهُ وَبِمَاتِي دِينَارَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ :

وأيض عجلي رأيت غمامه وأسيفه تقضى على الحدّان
 مَدَدْتُ اليه ذمّي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ وَرَوَّيْتُ النديمَ بماله وأدركتُ نأراً الراح من رمضان
 وكانَ نشوَالٍ عليّ ضمانةً فكانت عطايا جوده بضمان
 وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكران القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعه سوى شهر الصيام

﴿فصل في معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهي مُتَغَضِّبة فقال ما شأنك ؟ قالت إنك
 لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :
 تمت عُبيدةٌ إلا في ملاحظتها والحسن منها بحيثُ الشمس والقمرُ
 ماخالفَ الظبي منها حينَ مُبصرها إلا سوائفه والجيدُ والنظر
 قلٌ للذي طابها من حاسدٍ حنقٍ أقصر فرأسُ الذي قد عبت والحجر
 وأنشدنا للعدل بن الفرّج المعجلي ^(١) :

هل تقضينَ لستهامَ حاجةٍ نيطت إليك بها حبالُ رجائه
 أفنى تجلدهُ بقاءُ دموعه وأدامَ عبرتهُ فناءُ عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوبة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوبة

(١) شاعر مقلٍّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمه جميعاً

إمرأة من بني شيبان .

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجم الثريا والمزار بعيد
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
مُبينُهُ قالت يا جميلُ أربتنِي فقلت كلانا يابشين مُريب
فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عَظِيرُ إنا اختلفنا	في الفعلِ من فاعِلينِ
فقال قومُ يَتِي	لجمعنا الهمزتين
وقال قومُ يمدِّي	بملتقى الساكنين
وأنتَ أعلم منا	بذا وذاك وذين
لأنَّكَ الدهرَ فعلُ	يعتلُّ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتم دهرًا طويلًا لعسرتي أرحى نجاحًا والظنونُ فنونُ
فما نلتُ منكم طائلًا غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكونُ
وأنشدني أيضًا في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحابِ على الشمسِ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونه لذوى الحمـد كما خيرُ حمـدٍهم موزونه
وأصحُّ^(١) الآراءِ ما ظنَّ ذوالأفـسـنِ بذى الرأى انه مأفونه
ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لى بأنى فاضلٍ

(١) في الأصل «وأنظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصح» .

والحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكُونُهُ
وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهِمْ مُسلمَ العرضِ سالماً ماعُونُهُ
أنفقِ المالَ قبلَ انفاكِ العمـــــرَ ففي الدهرِ رَبُّهُ ومنُونُهُ
لا تظنَّ أنَّ مالَكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرُهُ محقُونُهُ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقتُ في الثرى المهيلَ رهونُهُ
كلُّ وأطعمَ فربما راع ريعاً^(١) زاكياً من تعولُهُ وتمونُهُ
وإذا ما ظننتَ شرّاً فخفه رُبَّ شرٍّ يقينه مظنونُهُ
كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونُهُ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأثير عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحْيي العلمُ ذكْرَهُمْ وَيُلحقُ الجهلُ أحياءَ بأمواتٍ
ونحوه قول دعبل :

سأقضى بييتٍ يحمِدُ الناسُ أمرَهُ ويكثرُ من أهلِ الروايةِ حامله
يموت ردىءُ الشعرِ من قبلِ رَبِّهِ وجيّدُهُ يبقى وان ماتَ قائله
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشينى أن لا أزال مُناهِضاً بغيرِ غنى أسمى بهِ وأبوعُ
وان رجالَ المالِ أضحووا وما لهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيع
أُخترمي ربُّ المتونِ ولم أنلْ من المالِ ما أعصى بهِ وأطيع
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له أعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريعاً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :
 وبعضُ الأمرِ أصاحهُ ببعضٍ فإنَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
 ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلاً وفيما أضمرُوا الفضلُ المبينُ
 كالونِ المساءِ مشتبهاً وليست تخير عن مذاقتهِ العيوبُ

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :
 الناسُ ان وافقتهم عذبوا أولاً فإنَّ جناهمُ مرُّ
 كم من رياضٍ لا نظيرَ لها تُركتْ لأنَّ طريقها وعُرُّ
 ولما أدلَّ أملنى فسلوته من ذا يدلُّ فلا يملُّ محبُّه
 تالله ما أتبعَ النبيُّ محمدُ لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :
 إني كثرتُ عليه في زيارتهِ فلَّ والشيءُ مملولٌ إذا كثرا
 قد رايتُ منه أني لا أزالُ أرى في عينه قصرًا عني إذا نظرا
 وقال الحكيمُ : * ولولم تغب شمسُ النهارُ لمَلَّتْ * فأخذه أبو تمام فقال :
 فاني رأيتُ الشمسَ زبدتْ حبةً إلى الناسِ إذ ليست عليهم بسرمد
 ونقله آخر إلى ذكر الغيث :

عليك باقلال ^(١) الزيارةِ إنها تكون متى دامت ^(٢) إلى الهجرِ مسلِكَ
 فاني رأيتُ القطرَ ^(٣) يسأمُ دائباً ^(٤) ويطلب بالأيدي ^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
 رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر: وأغبيتُ الزيارةَ لاملالاً ولكن من محاذرة الملل

وهذا كله من قول النبي ﷺ «زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا» (١).

وقلت: مازلتَ تلقاهُ فضاقتَ صدرهُ وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرهُ
من أكثر الغشيانِ خَسَّ قدرهُ لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرهُ
ولم يعزَّ حمرهُ وصفرهُ ولا علا بين الأثامِ ذكرهُ

﴿ في ذم العجائز قول الشعراء ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ غي فَنَ لي أن تساعدني عجوزُ
كَأَنَّ مجامعَ اللحيينِ منها إذا حسرتَ عن اللحينِ كوزُ
ومن المشهور قول الحرمازي:

لا تنكحنَّ عجوزاً إن دُعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
فإن أتوك وقالوا إنها نصفُ فَنَ أطيبَ نصفها الذي ذهباً
وقال آخر: وما غرني (٢) إلا خضابُ بكفها وكلُّ بعينها وأنوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بليلة فـكَانَ محاقاً كلُّ ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد في فضل الحمام ﴾

قال السري بن عبد الله الرفاء:

أسعِدُ هَلْ لَكَ في زيارةِ منزلِ ثننى عليه جوارحُ الزُّوَارِ
رحبَ تَرى الجُدرانَ فيه يَنابِعا (٣) وترى السماءَ كثيرةَ الأقمارِ (٤)
ينضو حيُّ الوجهِ ثوبَ حيايه فيه فيخطرُ كالحسامِ العارى
وترى على غدرانه (٥) بهم الوغى يخطرُن ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة

(وما راغنى) . (٣) في ديوان السري المخطوط . «رحب تلاقي الجدر منه

ينابع» . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان «على جدرانه» .

سُئِلْتُ سَيْوْفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَّتْ مُخَيُولُهُمْ بِغَيْرِ غُبَارٍ
مع آيات أخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بِنَا نَنْزِلْ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلُهُ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعُ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقَارِ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حِيطَانِهِ أَسَدُ حَرْبٍ فَوْقَ امْهَارٍ وَفَوْقَ مِهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسَيْوْفٍ نَائِيَاتٍ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَتَتْهُ تَسْكُنِي الصَّحَّةُ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانٍ دُرٍّ تَسْكَفَا مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمّام :

وَحَامُّنَا كَالْعَجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامُّنَا هَذِهِ كَالْعَجُوزِ تَلْدُّ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

ومن أجود ما قيل في صفة النُّورَةِ قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْمَالُ رَقَّةً وَيَذِيهِ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فَيَمِجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَاعَا جُ وَذَا فَيَرْوِجُ

(الشطر نج - قلت فيه)

إِذَا أُعْفِيَتْ الصَّهْبَا مِنْ قَدَحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدَى وَمَزَجَى الرَّاحَ لَا يَزْجَى
(٣١ - ثاني المعاني)

وألقى الله من يلقى وأرجى الشرب من يرجي
 لأيام أخاضتنا من الأحران في لجج
 فمنها الجسم في نقص ومنها القلب في وهج
 فما أنفك في حر وإن أصبحت في ثلج
 وما من شرها ناج وما من كيدها منجي
 تمنعنا بمسوع ملبح النظم والنسج
 وتلو ذكر من نهوى على نرد وشرنج
 كأننا منه في هرج ولسنا منه في هرج
 تمشى الزنج للروم وقام الروم للزنج
 فما أحسنها بيضا تمشين إلى دعج
 أقمنا بيننا حربا بلا عج ولا منج
 شهدناها بلا طبل ولا بوق ولا صنج
 وجئناها بلا سيف ولا رُمح ولا زج
 ترى أفراسنا تعدو بلا لجم ولا سرج
 مشى الفرزان معوجا لأمر غير معوج
 ورُخ ينتحي نهجا فلا يعدو عن النهج
 وفيل ليس يحدوه يدا شلح ولا علج
 وعند الشاة منصوب لواء النصر والفلج
 وحول أوجه غر عليها سيمة السرج
 إذا مادون الحسن تراهم أول الدرج

﴿ماورد في النرد﴾

وقال السري بن عبد الله الرفاء :

ومحكمان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكما عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
فاذا هما اصطجبا على كف الفقى ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلاً

(وأما القدح)

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخْرُجٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا صَكَ صَكَةً بَدَا وَالْعَيُونُ الْمُسْتَكْفَةُ تَلْمَحُ
غَدَا وَهُوَ بِمَجْدُولٍ وَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَسِّ وَالتَّقْلِيلِ بِالْكَفِّ أَوْطَحُ
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعْدٍ عِصَابَةٌ غَدَا وَبِهِ قَبْلَ الْفَيْضِ مَقْدَحُ

(انتظار الفرج)

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأُوطِنَتِ الْمَكَارَهُ وَاطْمَأْنَنْتِ وَأُرْسَتْ فِي مَطَامِنِهَا الْخُطُوبُ
أَتَاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْلَطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَقْرُونٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ
وَقُلْتُ : لِكُلِّ مُلْمَأَةٍ فَرْجٌ قَرِيبٌ كَمَثَلِ اللَّيْلِ يَتْلُوهُ الصَّبَاحُ
وَإِنَّ لِكُلِّ صَالِحَةٍ فُسَادًا كَذَلِكَ لِكُلِّ فَاسِدَةٍ صَلاَحُ
وَالْأَيَّامُ أَيْدٍ بِأَسْطَاتٍ وَأَفْنِيَةٌ مُوسِعَةٌ فَسَاحُ
وَقَدْ تَأْتَى وَأُوجْهَهَا صَبَاحٌ كَمَا تَأْتَى وَأُوجْهَهَا قَبَاحُ
وَالْحَالَاتِ ضَيْقٌ وَاتْسَاعٌ وَلِلدُّنْيَا انْفِلَاقٌ وَانْفِتَاحُ
فَلَا تَجْزَعْ لَهَا وَاصْبِرْ عَلَيْهَا فَإِنَّ الصَّبْرَ عَقِبَاهُ النَّجَاحُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَقْرُونٌ بِهَا الْفَرْجُ الْمُنَاحُ

(معنى آخر)

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ السَّكْبَةِ الْأَدَبُ

إِنَّ الْفُصُونَ إِذَا قُوَّتْ مَتَاهَا عُدَّتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قُوَّتْهُ الْخَشْبُ
وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي أَرْذَاحِ الْمُتَجَمِّعِينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْضِلِينَ الْبَيْتِ الْمَشْهُورِ :
مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانِ مِنْ فِعْلِهِ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْثَامِ
يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ
وَقَالَ أَبُو الْهَوَلِ :

إِذَا السَّمَاءُ أَبَتْ إِلَّا مُحَاذَرَةً سَحَّتْ يَدُ الْفَضْلِ يَاقُوتًا وَعَقِيَانَا
تَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا وَرَدَ الْقَطَا أَقْبَلَتْ مِثْنِي وَوَحْدَانَا

﴿ مَعْنَى آخِر ﴾

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسُؤَالٍ قَدْ يَهْزُ السُّؤَالُ غَيْرَ جَوَادٍ
إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَتَاكَ ابْتِدَاءً لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذَلَّةَ التَّرْدَادِ

﴿ وَمِنْ أَجُودِ التَّشْبِيهَاتِ فِي الْمَحْجَمَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ ﴾

وَخُضْرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْهَذِيلِ يُلْفُفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارُهَا
كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَ آثَارُهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ :

أَمَا وَأَيُّكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيَا
وَبَرَقًا فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا تَأَلَّقَ فَتَحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا
إِذَا ظَلَمْتُ فَرَاخُ أَيْكَ يَوْمًا سَقَاها مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيًّا
وَإِنْ جَرَحَ الْأَخَادِعَ مَطْمَئِنًّا كَسَا الْوَجَنَاتِ دِيبَاجًا بَهِيَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ يَأْتِي مُعْتَوِقًا وَيَدْعُوهُ الْوَرَى بَرًّا تَقِيَا
وَقَالَ آخَرُ : أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ عَاتِقِهِ كَمْ مِنْ كَبَى أَدْمَى وَمِنْ بَطْلٍ
يَأْخُذْنَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يَمْسَ مِنْ ثَارِهِ عَلَى وَجَلٍ

﴿ ومما قيل في خطئ الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْخُوطٌ وَالْعُتْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالَ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وقال آخر :

يَا مَنْ يَقْلِقُهُ طَنْيْنٌ ذَبَابٍ وَيَفْلُ عَزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرْبُ السَّرَادِقِ فِي رُواقِي بَابِهِ وَالْدَّارُ تَعْجُزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبَوَابِ حَاجِبَ حَاجِبٍ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ الْبَوَابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَبَانُ إِبْلِ تَعْلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامَ عَمْرٍو ابْنِ أَوْفَى مِثْلُهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامَ
أَنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادَ مِنْ عَلَيْهِمُ لِلثَّامِ
لَعَنَ الْإِلَٰهَ تَعْلَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِي عَلَيْهِ عِيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لَاخِيهِ
وَلَا بُيْ دَلَامَةَ ^(١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ

(١) هو زندي بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئري حفرتُ بئارهم ليعلم قومٌ مانظمُ النبائث^(١)

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حين تستغنى كثيرٌ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحدٍ إذا ما طوى عنك الزيادة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكادُ لو لم تك إنسية تجرى من الانسان مجرى الدم
لا تعصم الحسناء من كيدها ولو ثوت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

تسهل كل ممتع عسير وتأتي بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف الخيال ضحى زار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من دَمٌ إدريس في قيادته فاني شاكرٌ لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لا بليس
وكان في سرعة الحجى به آصف في حمل عرش بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

ما زددت في أدبي حرقاً أسرُّ به إلا تزيَّدتُ حرقاً تحته شوم
انَّ المقدم في حذق بصنعه أنى توجَّه منها فهو محروم
وقريب منه : ولربَّ بمارزق الفتى بسكوته
ومن الجيّد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرئ صناعةٌ وأحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمالُ واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « التوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مالُ المرءِ لانتَ قناته
ومثله قول الآخر : المرءُ بكرمُ للغنى
وقال آخر : غضبان يعلم أن المالَ ساق له
فمن يكن عن كرام الناس يسأني
وقال آخر : كفي حزناً أني أروح وأغدى
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً
وقال آخر في معناه :

أجلك قومٌ حين صرت إلى الغنى
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى
وكلُّ غنى في القلوب جليل
عشية يقرى أو غداة ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالبُ اللبيب بغيرِ حظٍّ
رأيت الحظَّ يستر كل عيب
بأغنى في المعيشة من فتيل
وهيئات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع . وقال الحارث بن حنظلة :

والعيش خيرٌ في ظلا
للكلِّ حرٌّ مبتلى
وقلت :
والنحس في طالعه
فكن رقيماً ساقطاً
وكن رقيماً ماجداً
هيئات أن يحظى الفتى
بجد سعيد دون جد

وقال آخر : الجد أنهضُ بالفتى من عقله
وإذا تعسرت الأمور فارجهما
فانهض بجد في الحوادث أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر

مَأْقَرَبَ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَسُوفُهَا قَدَرْتُ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ يُقَدَّرْ

﴿الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضموا أخا الحلم ما لم يستعن بجهول
وقال الأحنف بن قيس:

وَذِي ضَغْنٍ أَمْتُ الْقَوْلَ مِنْهُ بِحِلْمٍ وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْمَقَالِ
وَمَنْ يَحِلْمُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِينُهُ يَلَاقِي الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ
وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا بُدَّ لِلسَّيِّدِ مِنْ أَرْمَاحٍ وَمَنْ عَدِيدٍ يَتَّقِي بِالرَّاحِ
وَمَنْ سَفِينُهُ دَائِمُ النَّبَاحِ

﴿معنى آخر﴾

وَمَا الْجُودُ مِنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّهُ خَيْمُ النُّفُوسِ وَخَيْرُهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَهَلَاكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
وَقَدْ تَخَدَّعُ الدُّنْيَا فِيمَا سَى غِنِيهَا فَقِيرًا وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
وَكَمْ طَامِعٍ فِي حَاجَةِ لَا يَنَالُهَا وَكَمْ^(١) آيِسٍ مِنْهَا أَنَاةً بِشِيرِهَا

﴿الاقتداء بالقرين﴾

أَجُودُ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»^(٢)

وَمَنْ أَقْدَمَ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ الْعَبَادِي:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهِ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ مُقْتَدِي

(١) فِي الْأَصْلِ (وَمَنْ) . (٢) بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابَيْهَقِيُّ وَالْقَضَاعِيُّ وَغَيْرُهُمْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يُقْتَدِي
فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَنِبْهُ مُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنْهُ تَهْتَدِي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدِي مَعَ الرَّدَى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :
ولا يسئل الانسان إلا قرينه^١ وإن لم يكن من قبيل ولا بلد
﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر في ذلك :
جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به^٢ إن القى بأبن عمِّ السوء مأخوذ
ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :
أحملتني ذنبَ امرئ وتركتهُ كذى العُرِّ يكوى غيره^٣ وهوراتع
وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يُضرب لما عاقَتِ البقر
﴿ في النهي عن الظلم قول الاول : ﴾

البنى^٤ يصرع^٥ أهله والظلم مرتع^٦ وخيم^٧
وقال النبي ﷺ « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) . وقال بعضهم :
ظُلْمُكَ مِنْ خُلُقِكَ مُسْتَخْرَجٌ^٨ والظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنْ الظُّلْمَةِ
وقلت في عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسه لا أنصفَ الظالمُ في نفسه
إن كان لا يرحمُ في يومه لكان لا يرحمُ في أمسه

﴿ ماورد في الجبن ﴾

وأفلتنا هجين بنى سليم^٩ يُفدَّى^{١٠} المُهر من حُبِّ الإياب
فلولا الله والمُهرُ المُفدَّى لا بُتَ وأنتَ غِرْبَالُ الأهاب

وقال آخر :

بانت^{١١} تُشجِّغني هندٌ وقد علمت أن الشجاعة مَقْرُونٌ بها العطب^{١٢}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إْتَقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
(٣٢ - ثاني المعاني)

ياهندُ لاوالذى حجَّ الحجاجُ لهُ مايشهى الموتُ عندى من له أدبُ
وقال آخر فى المعنى :

نجوتُ نجااً لم يرَ الناسُ مثلهُ كأتى عُقابٌ عندَ تيمنِ كاسِرُ
وقال آخر :

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ شكِّ تقدّمَ حينَ جدّ بنا المِرأسُ
ومالى إن أظعتك من حياةٍ ومالى بعدَ هذا الرأسِ راسُ

﴿ ومن المضحكات قول الاخر ﴾

ألم ترنى وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يُمنى يديهُ وفيما بيننا رُجلُ ضيرُ
ومن المضحكات قول القاسانى فى الجبن والتطفيل :

أرى فى النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ فى الفراشِ على مكانى
ولكنى المُبارزُ حينَ أدعى إلى أكلِ العصيدةِ والفراي
وما عمروُ هناكَ أشدَّ منى ولا العبسىُّ غنّرةَ الطمانِ
ولا زيدُ الفوارسِ حينَ أدنو فأتى بالكلاكلِ والجراي
ترانى عندها ليثاً نفيراً إذا ما اصطكَّ منى الماضغانِ
أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي بأىَّ جنوبها وقعتُ بنائى
وكم طبقِ رَدَدَتْ وليسَ فيه من البقلِ المحصلِ حبتانِ

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحدونى :

طالَ تردّادُهُ إلى الرّفوحى لو بطناهُ وَحدَهُ تهدي
وقال آخرُ : قال غسّالى لما جتته قولاً صحيحاً
ياعزيزى أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحاً

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمانِ وصداً
إن تمنّحت فيه بنحز عيراً أو تحرّكت فيه ينقذُ قدّاً

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال مُعبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا مُطلبَ الصهرُ
فبعلُ يُراعيها وخدرُ يكنها وقبرُ يُوارىها وخيرُهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر فى الستر . كلام الملحدّين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فانّ المبتلىك هو المُعافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باح ضميرى بمُضمَرِ الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإِنما الموتُ بيضةُ المقرِ
وقال آخرُ : يا ناظرّاً فى الدين ما الأمرُ لا قدرُ صحَّ ولا جبرُ
ما صح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبّحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والآثم فى
الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيتَ بيني وبينه لما كان عدلاً أن نكون سواء
فكيف وقد أعلّيته وخفضتني فكنتُ له أرضاً وكانَ سماءَ

﴿فصل آخر﴾

كتب أبو الشيبس إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :

يا صديقي وأخي في كل ما يعرو وشدّة
ليت شعري هل زرعتم بذراً كتانِ المخدّة

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فردّه وكتب اليه :

وأهديته زمناً فانيا فلا للركوب ولا للثمن
حملت على زمنٍ شاعراً فسوف يكافى بشعرِ زمن
أيا الفضل ذمّاً ومُغرماً فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعده رجل دعبلاً فملا يديها اليه عند قدميه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدت النمل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شتاً وقدفا
فإن لم يُهد لي نعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النونِ حرفاً

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والآيات :

يا شقيقي ويا خليلي إباءَ المرجي لكل خيرٍ ومير

أنت من أطيب الأنام بخوراً غير أني شممتُه عند غيري

وهو جمٌ لديك فابعث بدرجٍ منه إن لم أكن تعدّيت طوري

فكتبتُ اليه :

قد بعثنا إليك منه بدرج وأزرناك منه أطيب زور

بين نديّ وبينَ عودٍ مطرّ آ مالهُ مشبهٌ بنجدٍ وغورِ
 أنتَ منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونورِ
 ما تعدّيتَ فيه طورَكَ عندى فتبخّر منه بأيمنٍ طيرِ
 وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتّابي إلى مالك بن طوق يستزیده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراية
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيرهُ وإن ابن عمك من
 عمّ نفعهُ وإن عشيرتك من أحسن معاشرتكَ وإن أحب الناس اليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى اليك ، ولذلك أقول :
 واقد بلوتُ الناسَ ثمَّ سبرتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسبابِ
 فاذا القرايةُ لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنينه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة

- ٣ الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد و ذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
- ٣ الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
- ١٢ الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجرى مع ذلك .
- ٤٦ الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
- ٤٩ الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجرى مع ذلك .
- ٧٤ الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس و ذكر البلاغة ، وما يجرى مع ذلك .
- ٧٤ الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
- ٨٧ الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
- ٩٢ من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
- ٩٤ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .
- ٩٧ أمثلة في البلاغة الكتابية .
- ٩٩ ومن جيد الأدعية .
- ١٠١ المديح عند الكتاب نثراً .
- ١٠٣ الذم والتهجين نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
- ١٠٦ الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات و ذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٠٦ الفصل الأول : في صفات الخيل .
- ١١٨ الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها .
- ١٢٨ الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسيرو والنعاس وما يجرى مع ذلك .

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المغانى .
- ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل فى تسمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل فى تقييل اليد .
- ٢١٥ الحضر على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكتمان ، رد السلام على الكتمان ، ما جاء فى المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله ويياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ما جاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتب .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
- ٢٢٩ ما جاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمزوم .
- ٢٣١ الدعاء للعزول .
- ٢٣٢ دعاء الأعياد .
- ٢٣٣ ما قيل في القيام للإجلاء .
- ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
- ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
- ٢٣٩ التفاضل بين الإخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزبارة .
- ٢٤٠ في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
- ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
- ٢٤٢ ما ورد في التردد .
- ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
- ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
- ٢٤٥ ما قيل في خطئ الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
- ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
- ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
- ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
- ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
- ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
- ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
- ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
- ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدرجات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
١٠٩ ٢٠ زفته	٤٣ ١٢ في القدور	٤ ١ عن نسختي
١٠٩ ٢٢ ضرار الغطفاني	٤٩ ١١ المفضل النكري	٢٣ ٤ أتى بمطر
١١٠ ١٥ كالفدن	٥١ ١ سعد بن	٥ ٦ بمدامع لم
١١١ ٢ على سواد	٥٣ ٤٣ عمرو بن	١٠ ٦ دوايح ضمنت
١١١ ٤ عارضت	٥٥ ٧ الجرور	١١ ٦ حفل اللقاح
١١٢ ١٩ تعلق بزي	٦٤ ١٨ السواء عدونا	١٢ ٦ سجم.. فواجم
١١٤ ٧ تهارش عنده	٦٤ ١٩ المؤقف	٨ ٧ لدماء
١١٤ ١٨ نوادي.. تدقق	٦٤ ٢٠ شهاب	١٢ ٢٢ بعيم البت
١١٥ ١ بقارح	٦٤ ٢١ كالسيور	١٣ ٢٢٤٩ وحوذان
١١٦ ١٧ دكدك	٦٥ ١ أحمر عاتر	٤ ١٥ بن المعذل
١١٨ ٦ مناذر	٦٦ ١ تتحرى	٦ ١٥ مغان
١١٩ ١ رهوأ	٦٦ ٦ جذل	١٢ ١٥ وشث
١٢١ ٦ مضر حيات	٦٨ ١٠ بن شهاب	١٦ ٢٢ الحمانى
١٢١ ١٢ تحت مخيسة	٦٨ ١١ وميض البيض	١٧ ١٣ وجنى رباها
١٢٢ ١٧ حسان	٧٠ ٣ العضروط	١٨ ١٤ ترحف
١٢٣ ١١ البيت جون	٧١ ٨ أخذ من	١٩ ١ لعسجد
١٢٤ ١٨ أودى السفار	٧٢ ٨ الدم	٢٠ ٦ جاسد
١٢٥ ٩ السباب	٧٣ ٨ ومشلسلة: مفرقة	٢٠ ٩ لؤلؤ كالاقحوان
١٢٥ ١١ بهاشرق	٧٧ ٢ كأطباء	٢٠ ١٢ مجتاز
١٢٧ ٢١ جفار	١٠٨ ٥ عبدة بن الطبيب	٢٣ ١ المعذل
١٢٨ ٢٢ وفد الريح	١٠٨ ٢٢ الأسعر	٢٣ ٨ تبارى.. مغدا
١٣٢ ٢٠ أظلافه نسق	١٠٩ ١٣ تارز	٣٢ ٢ ودستبوى
١٢٤ ٢٠٤١٦ قسما	١٠٩ ١٨ ثار عجاج	٣٣ ٨ على كرات
١٣٥ ٤ مثل الشراع	١٠٩ ١٩ تنفش	٣٧ ٢٢ قرط

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	يتفید ١٣ ١٤٢
من الغمی ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالکف أفتح ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	کتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. یقدح ٧ ٢٤٣	بسرین ارطاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فلطح ٩ ١٤٥
الهدیل ١٢ ٢٤٤	أرضاً فیها ٦ ١٨٧	بالعطاء. التنضبة ١٧ ١٤٦
دَم ٢٣ ١٦	یحیی بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
یتا کُل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقذ ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقاقت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عیابها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شلیبة ٤ ١٥٢
وعدونا ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللبة ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشؤ بوبه ١٣ ٢٠٩	بخطمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	مروان الجعدی ١٨ ٢١٥	بان الاءمروبان ١٠ ١٧٢
جذیمة ١٢ ١٧٦	مکعت ٩٨ ٢١٦	ابن متاذر ٣ ١٧٥
	الزرقی ١١ ٢٢٠	الخريمی ٧ ١٧٥
	الارحی ١٧ ٢٢٦	عن شباة ١٥ ١٧٥
	معشوق ٢٠ ٢٢٦	وزدت بمازودتی ١٨ ١٧٥
	قذراً وأسلم ماسواه البرجد	مجتاب شملة برجد بسراته ٢٣ ٢٤١

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة في الأثر

(١)

الأنس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥ ، ١٧١ ، ٢٣٠
 أدریس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٢٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعر الجعفي ج ٢ : ١٠٨ ، ١٠٦ ، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ١٤٥ ،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشى ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ج ٢ :
 ١٢ ، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأوفو الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقیل القینی ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ج ٢ : ٥٧ ، ٣
 ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ،
 أمية بن أبی الصلت ٢٦ ، ٤٦ ، ١١٠ ،
 أوس بن حجر ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ،
 ج ٢ : ٤ ، ٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٧٣ ،
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦ ، ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ج ٢ :
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٢٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨ ، ج ٢ : ٢٣٨ ، ١٧٩
 أبو الأسد الدينوري ٣٠ ، ٦٣ ، ج ٢ : ٢٠٣
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢ ، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨ ، ٩٤ ، ج ٢ : ١١٨ ، ٢٥٢
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ، ٧٩ ،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطل ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ،
 ١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٥٣،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣،
 ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣، ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،
 ١٩٢، ١٩٦،

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١،
 بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢،

البصير ١٢١

البعث ٢٧٧

بكر بن خازم ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شرأ ١١٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ٨، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١١٧،
 ١٣٠، ١٤٠، ١٤٤، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التنوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنه ١٣٨

الثقفي ج ٢: ١٨٥

(ج)

جيباء الاشجعي ج ٢: ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحمانى ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٣
 الحمدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن بيض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن مليح المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حرثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٦٩ ، ٥١
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكناني ج ٢ : ٢١٦

عالم الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠

الحالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨

الحجاز البلدي ج ٢ : ٤٢

خداش بن زهير ج ٢ : ٧٣

أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢

خريم بن فاتك ٢٦

الخريبي ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٥ ، ١٩٧

ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦

خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :

١٦٢ ، ١٤٥

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥

ج ٢ : ٣٠

الخنساء ٤١ ، ١٣٨

الخوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،

ج ٢ : ٥٨

ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :

١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧

دعبل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،

٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧

أبو دغفل الكلابي ج ٢ : ٧٠

أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥

أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

ابن الدمينه ٣٤٦

أبو دهل الجحى ١٣٩

أبودواد ١٤٢ ، ج ٢ : ١٠٦ ، ١١٢ ،

١٢٨ ، ١٤٦

ديك الجن ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،

١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،

٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،

١٨١ ، ٢٢١

الدلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،

٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢ : ٦٤

الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢

رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٥٥

الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩

الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤

رزين العروضي ١٩٩

الرقاشي ج ٢ : ١٧٩

الرماح الأسدي ج ٢ : ١٥٠

ذو الرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،

٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

٣٥٥ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخيل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطيرة ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦،

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١،

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٢٤٩،

سعيد بن العاص ١٩٦

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠،

أبو سعيد الاصفهاني ج ٢: ٢٠٩،

أبوسعيد الخزومي ١٨١

ابن السكن ٢٠٨

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥،

أبو السمح الطائي ٢٩

السموأل ٣٧، ٨٣

سهل بن هرون ٢٨٢

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢،

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧،

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٠،

١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢،

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥، ٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الرياشي ج ٢: ٢٣٤

(ز)

أبو زيد ج ٢: ٥٨،

زفر بن الحارث ج ٢: ٢٠٠،

ابن الزمكدم ١٩٥

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦،

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦
 أبو شراعة ج ٢ : ٢٢٩
 الشباخ بن ضاراد ١١٥ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٥٩ ،
 ١٠٩ ، ١٢٥
 الشمر دل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقمق ١٩٨
 أبو الشيص ٢٥٥ ، ج ٢ : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢ : ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢ : ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢ ، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبدالله القشيري ج ٢ : ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ج ٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢
 الصولي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥ ، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧

ابن طباطبا ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ،
 ج ٢ : ١١ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ،
 طرفة ج ٢ : ٧
 الطرماح ٣٤٦ ، ج ٢ : ١٣١ ، ١٤١ ،
 ١٧٥ ، ٢٣٨
 طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤ ، ٢٥٢ ، ١٢٦
 طفيل الغنوي ج ٢ : ٢٢٠
 الطراح العقيلي ج ٢ : ٢١٩
 أبو الطمحان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الاخنف ١٦١ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤ ،
 ج ٢ : ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥ ،
 ١٧٨ ، ج ٢ : ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٧
 عبدالعزيز بن زرارة ٨٨
 عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨
 عبدالله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبدالله بن الحسن ٢٦٢

عروة بن حزام العذري ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢: ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢: ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤، ٢٥٠
 العلوي الأصفاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
 ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧
 علي بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١
 ١٠٦، ج ٢: ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥
 علي بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣، ج ٢: ٢٣،
 ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس النوبختي ج ٢: ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢: ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢: ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١، ج ٢:
 ١٠٩، ٢١٩
 العاني ج ٢: ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شاس الأسدي ٢٢٤، ج ٢: ٧٢، ٧٣
 عمرو بن قيسة ٢٧٦

(٣٤ - ثاني المعاني)

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢: ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢: ١٥٦
 ابن عبد الاسدي ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيع ج ٢: ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠، ج ٢: ١٦٦
 عبدة بن الطبيب ج ٢: ١٠٨، ١٤٤
 ١٧٥، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨، ج ٢: ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨
 ٢٥٠، ج ٢: ٢٥١، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢: ٦٠
 العتابي ج ٢: ٩
 أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠
 ١٢٥، ج ٢: ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦
 ٢٢٧، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج، ج ٢: ٧١
 عجير السلولى ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢: ١٣١، ١٣٢
 ٢٢٣، ٢٣٥
 عدى بن زيد ج ٢: ١٣٧، ٢٤٨
 العدلي بن الفرّج المعلى ج ٢: ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢: ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢: ٢٣٢

شمرو بن كلثوم ٩٠ ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد الثقفي ٢٩
 عمرو بن معد يكرب ١١١ ج ٢ : ٥٣، ٢٣
 أبو العميل ٥٣، ١٦٣، ٢٧٣
 عنترة العبسي ١١٠، ٣١٧ ج ٢ :
 ٦٤، ١٢١، ١٤٨
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن حلم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصلی ٣٥٢
 عيسى بن أوس ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠، ١٩١ ج ٢ :
 ١٣٧، ١٣٨
 أبو عينة ج ٢ : ٣١، ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢، ٤٩، ٥٠
 ٦١، ١٩٧، ٢٠٠
 الفرزدق ٢١، ٤٩، ٧٨، ٤٣، ١٤٥
 ١٧١، ١٧٤، ١٨٣ ج ٢ : ٨٧، ١١٩
 ١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ٢٣٤، ٢٨١
 فروة بن مسيك الغطيفي ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 القند الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي قنن ٢٨٤، ٣١٥، ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٣٢٩
 ج ٢ : ١١٨، ١٢١، ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠، ٢٢٩، ٢٧٦
 ج ٢ : ٥٠، ٥١، ٥٧، ٧٠، ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن عاصم ١٣٥، ١٥١
 (ك)

أبو كبير ٣٨
 كثير ٥٨، ٦٣، ٢٣٠
 كشاجم ٦٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٤
 ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٠ ج ٢ :
 ٢٩، ٣٠، ٨٣، ٨٤، ١١٠، ١٥٨
 ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٤
 ٣٢٦ - ٣٢٨

كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 السكيت ج ٢ : ١١٤

(ل)

ليد ١١٨، ٣١١ ج ٢ : ١٢، ١٩٨

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢: ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢: ١٥٣، ١٦٤
 المخبل ج ٢: ٦٣
 محمد الموصلي ٣٣٥
 المرار القعسي ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧، ٥٢،
 ١٠٥، ١٣٥
 مزاحم العقيلي ج ٢: ١١٠، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢: ٥٨
 مسعود أخو ذى الرمة ج ٢: ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩، ٢٩٧، ج ٢: ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠، ٧١، ١٠٣، ١١٦،
 ١١٧، ١٦٢، ١٧٨، ٢٥٣، ٢٦٦،
 ٢٧٧، ٢٨١، ٣١١، ٣٤٣، ج ٢:
 ٥١، ٧١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩،
 ١٥٨، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢، ٢٠٣
 المصيصي ٢١٥
 مضر بن ربيعي ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢: ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢: ١٩١، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠، ٧٧، ٨٥، ٨٨، ١٤٤
 ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧،
 ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٤٧ - ٢٥٢، ٢٥٧،
 ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧ -

ابن لجأ ج ٢: ١٢٧
 لقيط بن زرار ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩، ج ٢: ٢٠١، ١٨٠
 ليلى الأحميلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢: ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢: ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢: ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متمم بن نويرة ج ٢: ١٧٤، ١٧٦
 المتنبى ١٠٨، ١٩٦، ج ٢: ٦١
 ٧٦، ٩١، ٩٢، ١٠٠، ١٠٨، ١١٩
 ١٧٠، ٢٣٧، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣٢٢
 المجنون ٢٧١، ٢٨١، ٣٤٦، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢: ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدى ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢: ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢: ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢: ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢: ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدى ج ٢: ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢: ٦٧

٢٧٦، ٢٦٩ - ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣
 - ٢٩٢، ٢٩٠ - ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٧٨
 ، ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
 - ٣١٧، ٣١٣ - ٣١٠، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ، ٣٣١، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣١٩
 - ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٥ - ٣٣٥، ٣٣٣
 ، ٣٥٩، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٥١
 ، ٣٣ - ٣٦٠ ج ٢: ٩ - ١١، ١٥ - ٣٣
 ، ٥٩، ٥٨، ٤٨ - ٤١، ٣٨ - ٣٥
 - ٨٠، ٧٨، ٧٦، ٧٥، ٧٢، ٧٠، ٦٨
 - ١١٠، ١٠٨، ١٠٠، ٩٣، ٩٢، ٨٤
 - ١٣٦، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٣، ١١٢
 ، ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٢
 ، ١٦٤، ١٦٢، ١٥٩ - ١٥٤، ١٥١
 ، ١٨٢ - ١٨٠، ١٧١ - ١٦٩، ١٦٧
 ، ٢٠٤ - ٢٠١، ١٩٧، ١٩٦، ١٨٩
 ، ٢٤١ - ٢٣٩، ٢٢١، ٢١٥، ٢١٣
 ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٣
 أبو الهندي ٣١١
 أبو الهول ج ٢: ٢٤٤
 أبو الهيثم ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢: ٥٢
 يحيى بن زياد الحارثي ٣١٨، ١٢٦
 يحيى بن طالب الحنفي ج ٢: ١٨٧
 يزيد بن الطثيرة ٣٣٤، ٢٥٩ ج ٢: ١٦٢
 يزيد بن معاوية ٣٠٨
 يزيد الملهبي ج ٢: ١٩٩
 يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٣٤ - ١٣٢، ١٢٧، ١٢٥، ١٢١
 ٢٠٦، ١٨١، ١٦٦، ١٤٠ - ١٣٨

(و)

الوائق بالله ج ٢: ١٦٥
 أبو وجزة السعدي ٥٩
 وضاح اليمن ٢٢٦، ٢٢٥
 وهب بن عمرو ١٥٧
 ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٣٢٧، ٩٣
 هرون بن محمد الأمل ١٩٦
 ابن هرمة ٣٣، ١١٩، ٢٨٩، ٣٥٨ ج ٢: ٦٥
 أبو هفان ٦٥، ٨٠
 أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -
 ، ٢٧، ٢٥، ٢٣، ٢٢، ٢٠، ١٣، ٥
 ، ٥٩، ٥٥ - ٥٣، ٤٣، ٤٢، ٣٠، ٢٩
 ، ٨٤، ٨٠، ٧٩، ٧٥ - ٦٩، ٦٤، ٦٠
 ، ١٠٧، ١٠٠، ٩٩، ٩٢، ٩٠ - ٨٨
 ، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٠، ١١٠، ١٠٩
 ، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٨
 ، ١٦١، ١٥١، ١٤٨، ١٤٥، ١٤٢
 ، ١٨٦ - ١٨٤، ١٨٠ - ١٧٨، ١٦٧
 ، ٢٠١، ١٩٧، ١٩٣ - ١٩١، ١٨٨
 ، ٢١٠، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢٠٣
 ، ٢٢٥، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٣، ٢١١
 ، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٢
 ، ٢٥١، ٢٤٩ - ٢٤٧، ٢٤٥، ٢٤٣
 ، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٧ - ٢٥٥، ٢٥٣

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٢)
- ١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للبيهقى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
- ٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما شتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى
- ١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو ٠٠) للسيوطى
- ٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لأبى هلال العسكري .
- ٢ الطب الروحانى لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
- ١٥ شرح أدب السكاتب للجوانيق (الورق الخشن ١٠) .
- ١٥ تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد المسمى بالتقصى لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الإمام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
- ٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
- ٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .
- ٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
- ٦ القصد والامم فى التعريف بأنساب العرب والعجم ، والانباء على قبائل الرواه
- ٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
- ٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتارىخ للتارىخ الاسلامى) .
- ١ الكشف عن مساوى المتنبي للصاحب بن عباد، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس .
- ٢٠ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الاسمر ١٦) .
- ٣ شروط الائمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .
- ٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسى .
- ٨ جنى الجنتين فى تميز نوعى المثنيين للبحى (وهو كعجم للشنيت العربية) .
- ٤ أخبار الطراف والمتهاجين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون: الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية، والمعزة فى تاريخ المزة، والنسك التاريخية .
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال .
- ٢٥ ذبول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي ، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكي .
- ٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل لابن علان، ورسالة فى النحو للصاديقى
- ١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى
- ٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي .